من خطب الإمام على

– رضى اللّه عنه- في تمجيد اللّه – تعالى-

– وتنزيهه وتعظيمه

دراسة بلاغية تطبيقية

الدكتورة

راوية حسين جابر خليل

مدرسة البلاغة والنقد

فى كلية البنات الأزهرية

طيبة الجديدة – الأقصر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله ، أنزل كتابه غاية البلاغة ومنتهاها ، والصلاة والسلام على رسوله أوتى جوامع الكلم وأوفاها . اللهم آتِ نفوسنا تقواها، و زكها أنت خير من زكاها ،وألهمنا الصواب والرشاد ومن الهمم أعلاها . اللهم آمين .

(**أما بعد**)

فهذا بحث بعنوان " من خطب الإمام على- رضى الله عنه - فى تمجيد الله - تعالى- وتنزيهه وتعظيمه من كتاب شرح نهج البلاغة - دراسة بلاغية تطبيقية "، وإنه لمن دواعى الشرف والفخار أن يكون بحثى فى رحاب هذا البيان العالى ، فبلاغة الإمام على ولدت وترعرعت فى أحضان البلاغة القرآنية والبلاغة النبوية كيف لا ؟ وهو ربيب بيت النبوة .

وبلاغته - رضى الله عنه - لا تحتاج إلى بيان وتعريف بقدر ما تحتاج إلى فهم وتفسير وتحليل ، والتحليل البلاغى للنصوص أقدر أداة تبين عنها وتنشر ذخائرها ، وتكشف عن نفائسها وإيحاءاتها وظلالها من وراء ألفاظها وتراكيبها وصورها ومعانيها ، وهو الوسيلة إلى تذوق النص والتعايش معه ، والحكم عليه ، وإن بقى على الرغم من ذلك وبعد طول التأمل والاجتهاد – ما يُحَس ولا يستطيع اللسان ولا القلم أن يبين عنه " فإن اللغة هى قمة البراعات الإنسانية وأشرفها ، وهى أبعد منالا مما يتصوره المرء بأول خاطر ، فما ظنك إذا كانت

اللغة عندئذ لغة "شعر " أو " كلام مبين " عندئذ تعيا الألسنة عن الإبانة عن مكنون أسرارها ، وتقصر همم ألفاظ النقاد أحيانا كثيرة عن بلوغ ذراها " [١]

وقد اخترت من أغراض الخطب أنبلها وأعلاها وأحقها بتعلق النفوس وأولاها ، وهو " تمجيد الله – تعالى وتنزيهه وتعظيمه " وان كانت كل الخطب لابد أن تبدأ به إلا أنى توخيت التركيز على الخطب التى استقلت بهذا الغرض أو غلب عليها ، من خلال كتاب شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد .

والكتابة فى هذا الغرض من المشقة بمكان ، إذ يقف الباحث وجلا من أن تخط يمناه ما لا تحمد عقباه ، مما قد لا يليق بالذات العلية ، أو لا يوفيها حقها من الإجلال والتقديس ، لكنى استلهمت الله السداد ، وعقدت العزم على المضى فى هذا البحث مدفوعة بحس دينى ، ورغبة فى استبطان معانى هذه الخطب والغوص وراء أسرارها لالتقاط النفائس والدرر من خلال دراستها وتحليلها ، والكشف عن خصائص بلاغته المتميزة- رضى الله عنه - وفق منهج تحليلى يقوم على تذوق الألفاظ وبيان معانيها ومراميها، والحلى البلاغية التى اكتساها المعنى وبرز فيها.

وقد رأيت أن أقدم ترجمة سريعة للإمام على - كرم الله وجهه- وإلمامة خفيفة بالغرض النبيل.

ثم أوردت الخطب مرتبة وفق ورودها فى كتاب (شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد) معنونة لكل منها بعنوان مناسب ، وقد كان منهجى ممثلاً فى عرض نص الخطبة أوّلاً مضبوطاً بالشكل ، ثم تحليل جملها واحدة تلو الأخرى مبينة المعانى

---

(١) نمط صعب ، ونمط مخيف – محمود محمد شاكر ص ١٦٩. المدنى ط أولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م

اللغوية لبعض المفردات ، ومرجحات اختيار حرف من حروف المعانى على آخر، أما المعنى الإجمالى فيتضح من خلال التحليل البلاغى، حين نبين أثر البلاغة على المعنى ، وما تمده به من إيحاءات وظلال .

ثم ذيلت البحث بخاتمة ، وفهرس للمصادر والمراجع ، وآخر للموضوعات .

فإن أكن وفقت فذلك فضل من الله ومنة ، وما كان من خطأ وضعف استنباط فمن عجز البشر عسى الله أن يعفو عنا ، والاعتراف بالعجز سبيل إلى مزيد من بذل الجهد .

" وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب "[1]

د. راوية حسين جابر
مدرسة البلاغة والنقد فى
كلية
البنات الأزهرية
طيبة الجديدة – الأقصر

---

[1] سورة هود من الآية ٨٨ .

من مناقب الإمام على رضى الله عنه(*)

هو على بن أبى طالب الهاشمى المكى المدنى الكوفى ، أمير المؤمنين ، وقاتل الناكثين ، والخوارج ، والبغاة .

ابن عم الرسول (ﷺ) ، وصهره على ابنته الزهراء سيدة نساء أهل الجنة وأبو السبطين الحسن والحسين ، وجد الأشراف والذرية الطاهرة .

أول هاشمى ولد بين هاشميين ، وأول خليفة من بنى هاشم .

وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد البدريين المغفور لهم ، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين توفى رسول الله(ﷺ) وهو عنهم راض، وأحد السابقين إلى الإسلام ، وأحد الخلفاء الراشدين المهديين .

أول من أسلم من الأطفال ، ربى فى حجر النبى (ﷺ) وترعرع وشب فى بيته (ﷺ) ، أجمع أهل السير والتواريخ على أنه شهد مع النبى (ﷺ) كل مشاهده وغزواته إلا تبوك فإنه استخلفه فيها على الأهل والذرية ، وكان له فى جميع المشاهد آثار مشهورة وأعطاه النبى (ﷺ) اللواء فى مواطن كثيرة وراية المهاجرين كانت معه فى سائر المشاهد وأحواله فى الشجاعة وآثاره فى الحروب معلومة مشهورة .

(*) أسد الغابة فى معرفة الصحابة. لابن الأثير .تخريج/ أحمد بن شعبان بن أحمد ط١ مكتبة الصفا ٢٠٠٧ جـ٤ ص٦٣-٨٣ بتصرف،
الإصابة فى تمييز الصحابة .لابن حجر العسقلانى.تحقيق/الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، الشيخ على محمد عوض.ط٣ دار الكتب العلمية ٢٠٠٥ جـ٤ ص٤٦٤-٤٦٨ بتصرف.

ورد فى فضله كثير من الأحاديث كقول النبى ﷺ "أنا مدينة العلم وعلى بابها،فمن أراد المدينة فليأتِ الباب"[١]

ولد قبل الهجرة بثلاث وعشرين سنة وولى الخلافة بعد مقتل عثمان (رضي الله عنه) باتفاق من المهاجرين والأنصار ، ثم قام بعض أكابر الصحابة يطلبون القبض على قتلة عثمان فتريث على تحفظا من الفتنة .

فقام عليه طلحة والزبير وغيرهما- رضى الله تعالى عنهم- فقاتلهم فى وقعة الجمل ، وقام ضده معاوية بالشام غير معتبر بيعته فقاتله أيضا ،فكانت وقعة صفين إلى أن وقع التحكيم ، فنقم عليه ذلك بعض أصحابه فخرجوا عليه وكفروه فقاتلهم وكانت وقعة النهروان.

ثم كانت وفاته بأن قتله الشقى اللعين عبد الرحمن بن ملجم الخارجى عام أربعين من الهجرة رضى الله- تعالى- عنه ونور ضريحه .

---

(١) تهذيب الآثار لابن جرير الطبرى تحقيق/ محمود شاكر.ط الخانجى ص ٥٧١.

بين يدى الغرض النبيل

بنظرة تدبر وتفكر فى خلق الله سبحانه ، وما اشتمل عليه من عظمة وجلال ، وما قام عليه من أسس ، هى من الدقة والتنسيق والتنظيم بحيث عجز المفكرون عن إدراك كنهها ، ووقفوا مشدوهين أمام كمالها . بهذه النظرة المجردة من الهوى والتضليل ندرك أن الله – سبحانه – هو الذى أعطى كل شئ خلقه ، ودبر فى الكون كل ذرة ، وأنه – وحده – الذى يستحق أن تعنو له الجباه ، وتخر له الرؤوس ساجدة ، وينقاد له الخلق معظمين مكبرين .

ذلك هو الإله الحقيق بالتسبيح والتنزيه والتعظيم والتمجيد ، إن الفطرة المستقيمة تتجه إلى الله – تعالى – فى كل عصر ومصر ، فحبه مستبطن سويداء القلب متدفق فى شرايين الدم ، مستظهر خلايا العقل ؛ لذا يلهج اللسان بتسبيحه وتقديسه ، لا ينحرف عن هذا الاتجاه إلا شاذ فاسد العقل مريض النفس .

وقد أمر الله – تعالى – بالإكثار من ذكره وتسبيحه فقال : " يا أيُّها الَّذِينَ ءامنُوا اذكُرُوا اللهَ ذكرًا كثيرًا وسبِّحُوه بُكْرَة وأصيلا " [١]

وعن أبى هريرة – رضى الله عنه – أن رسول الله (ﷺ) قال : " كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان فى الميزان ، حبيبتان إلى الرَّحمن: سُبحانَ اللهِ وبحمدِه،سبحانَ اللهِ العظيم " [٢]

---

(١) سورة الأحزاب الآيتان ٤١ ، ٤٢ .

(٢) صحيح البخارى بحاشية السندى. ط الحلبى. كتاب الدعوات باب فضل التسبيح ج٤ص١١٤.

هذا إلى ما رواه العديد من كتب السنة من فضل التسبيح والتحميد من أن له دوى حول العرش كدوى النحل يذكر بصاحبه ، وأنها أحب الكلام إلى الله ، وأن من يكثر منها تغرس له نخلة فى الجنة ، مما هو غنى عن البيان .

والغرض من الذكر تزكية الأنفس وتطهير القلوب ، وإيقاظ الضمائر ، فالمرء حين ينفتح لربه جنانه ، ويلهج بذكره لسانه ، يمده الله بنوره ، فيزداد إيمانا إلى إيمانه ويقينا إلى يقينه ، فيسكن قلبه ويطمئن " الَّذِينَ آمنُوا وتطمَئِنُّ قلوبُهم بذكر اللهِ ، ألا بذكر اللهِ تطمئنُّ القلوبُ " (١)

وللإمام على – كرم الله وجهه – باع واسع فى هذا الغرض النبيل ، كما أنه صاحب فكر متميز فيه وفلسفة خاصة ، وقد اشتملت خطبه فى هذا الغرض على توحيد الله – تعالى – وتسبيحه وتنزيهه وحمده والثناء عليه ووصفه بصفات الكمال ونعوت الجلال ، وتعرضت لبعض صفاته الأزلية كالبطون والظهور ، والقدرة ،والعلم ، والمخالفة للحوادث ، والقدم ، والبقاء ، ونحوها .

كما تحدثت عن إقباله – تعالى – على عباده ، وإفضاله وإحسانه إليهم يكلؤهم بعنايته ، ويوسعهم رحمة ولطفا ، ويسبغ عليهم ستره وإن عصوه .

جعلنا الله من الذاكرين المسبحين الذين يقدرون الله - تعالى - حقَّ قدره ، ولا يغفلون عن شكره ، فذكره – سبحانه – يرفع من الحضيض البئيس إلى الأفق السعيد. .

---

(١) سورة الرعد الآية ٢٨ .

الخطبة الأولى
من صفاته- تعالى - (الظاهر الباطن العلى القريب)

(الحمدُ للهِ الذى بطنَ خفياتِ الأمور، ودلت عليه أعــلامُ الظُّهــور، وامتنعَ على عينِ البصير، فلا عينُ من لم يرَ تُنكرُه ، ولا قلبُ مــن أثبته يُبصِرُه، سبقَ فى العلوّ فلا شئ أعلى منه، وقرُبَ فى الدنُوّ فلا شئ أقرب منه، فلا استعلاؤه باعده عن شئٍ من خلقِــه، ولا قربُــه ساواهم فى المكانِ به، لم يطلع العقولَ على تحديــدِ صــفته ،ولــم يحجبْها عن واجبِ معرفتِه، فهو الذى تشهدُ له أعلامُ الوجود علــى إقرارِ قلبِ ذى الجحود، تعــالى الله عمــا يقــولُ المشــبهونَ بــه والجاحدونَ له عُلوًّا كبيراً) [١]

(الحمد لله الذى بطن خفيات الأمور) يبدأ بالحمد معرفاً بلام الجنس ليفيد قصره عليه - سبحانه-، والقصر [٢] يعطى الجملة إيجازا وتأكيدا ،فقد خص اللهﷻ بالحمد ونفاه عما سواه فى جملة من كلمتين عن طريق تعريف المسند إليه بـ (ال) الجنسية . بدأ بالجملة الاسمية ليدل على ثبوت الحمد له- سبحانه- ودوامه على

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد،تحقيق/محمد أبو الفضل إبراهيم،ط ١ الحلبى١٩٥٩م جـ٣ص٢١٦.

(٢) تخصيص أمر بآخر بطريق مخصوص (الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى ط دار الكتب العلمية بيروت جـ ٢ ص١٠٦).

صفة راسخة ثابتة، فعلم خفيات الأمور نعمة تستحق الحمد، إذ يطمئن المكلف إلى أن عمله مهما دق فإن الله يعلمه ويجازيه عليه .
وبين (بطن) و (خفيات) مراعاة نظير؛ إذ الخفى يناسبه علم الباطن واستكناهه.
وليعبر عن وضوح دلائل وجود الله - تعالى- وظهورها للعيان وأنها لا يعشى عنها إلا فاسد العقل فاقد البصيرة يقول :(ودلت عليه أعلام الظهور) فيشبه دلائل وجوده - تعالى- وشواهده بالأعلام فيحذف المشبه ويصرح بالمشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية، والجامع الوضوح والهداية.
وإضافة (أعلام) إلى (الظهور)إضافة بيانية عضدت المعنى المراد وأكدته؛لتتعاون الألفاظ على أداء غرض واحد هو وضوح تلك الدلائل والشواهد.
وبين (بطن خفيات) و(الظهور) طباق[1] يوضح المعنى بالتضاد .

ويعبر عن تعذر إدراك البصر له- جل فى علاه- بقوله: (وامتنع على عين البصير) عبر بصيغة المبالغة (بصير) بوزن (فعيل) ليفيد أنه مهما بلغت قوة البصر فإنها لا تنفد إلى من لا تدركه الأبصار خالق البشر.

وعلى الرغم من هذا العجز البشرى إلا أن القلوب والبصائر تعرفه حق المعرفة لذا يقول: (فلا عين من لم ير تنكره) وبين (البصير) و (من لم ير) طباق وضح المعنى بالتضاد واستوفاه، فلا تراه عين المبصر، ولا تنكره عين الأعمى فهو الظاهر الباطن.
وقد سبق- جل وعلا- كل شئ فى العلو إلا أنه قريب من خلقه تحوطهم عين رعايته (سبق فى العلو فلا شئ أعلى منه، وقرب فى الدنو فلا شئ أقرب منه) بين الجملتين تفويف [2] فقد أتى بالمعنى فى جملتين مستويتين فى المقدار بينهما تضاد، والتعبير بالنكرة (شئ) يفيد العموم فينساق الوصف مع كل الأشياء مهما عظمت أو ضؤلت.

---

(١) هو الجمع بين المتضادين،أى معنيين متقابلين فى الجملة (الإيضاح للقزوينى ،شرح د/محمد عبد المنعم خفاجى ط٣ دار الجيل بيروت ١٩٩٣ جـ ٦ ص٧).
(٢) أن يؤتى فى الكلام بمعان متلائمة فى جمل مستوية المقادير أو متقاربتها (شروح التلخيص ط دار الكتب العلمية- بيروت جـ٤ص٣٠٥).

ويدفع توهم أن يكون العلو حائلا بينه وبين خلقه بقوله(فلا استعلاؤه باعده عن شئ من خلقه) على الرغم من استعلائه إلا أنه قريب من خلقه يجيب أدعيتهم ويتولى أمورهم ويكلؤهم بعنايته.

(ولا قربه ساواهم فى المكان به) إذ هو قرب معنوى فهو- سبحانه - منزه عن الحلول فى الأمكنة، وبين (باعده) و (قربه) طباق وضح المعنى بالتضاد.

ولما كان اتصافه- تعالى- بما سبق من الصفات يبعث العقول على التفكير والاجتهاد للإحاطة بصفاته قال (لم يطلع العقول على تحديد صفته) ليسد عليهم هذا الباب، ليوقنوا بأن العجز من صفات البشر، فالعقول قاصرة عن ذلك، واللام فى (العقول) لاستغراق الجنس.

ولنتأمل جمعه بين فعلين منفيين يوهمان الوقوع فى التناقض بادئ ذى بدء حتى إذا ما أكمل المتلقى الجملة تمكن المعنى لديه وفهمه على الحقيقة (لم يطلع العقول، ولم يحجبها).

فالعقول غير مطلعة على كنه ذاته- تعالى- لكنها غير محجوبة عن معرفته بل هى واجبة عليها ليعبده أصحابها حق عبادته، فهذا التعبير يؤكد المعنى لدى المتلقى ويمكنه فى نفسه أيما تمكن وبين (يطلع) و (يحجب) طباق وضح المعنى بالتضاد.

(فهو الذى تشهد له أعلام الوجود على إقرار قلب ذى الجحود) يعود إلى الحديث عن دلائل وجوده بعد أن جعلها أعلاما واضحة الظهور ،هادية أصحاب الفطر السليمة إلى معرفته،يجعلها هنا ناطقة بالشهادة على الجاحدين بأن قلوبهم مقرة بألوهيته وتوحيده ،وفى إثبات الشهادة لها تخييل يجعل الصورة حية نابضة ، إذ يشبه تلك الأعلام بأشخاص قادرة على النطق والإدلاء بالشهادة ثم يحذف المشبه به ويثبت لازمه للمشبه على سبيل الاستعارة المكنية .وهكذا، وهب الأعلام حياة،وأكد أن دلالتها على وجوده - سبحانه - دلالة لا مراء ، إذ تعاورت عليها حاستا السمع والبصر ،فالأعلام مشاهَدة بالبصر ،وشهادتها المتخيلة محسوسة بحاسة السمع .

يقرر- كرم الله وجهه- أن معرفة الله- جل وعلا- والإقرار بألوهيته أمر متفق عليه حتى إن صاحب القلب الجحود لا يستطيع إنكارها بل ويقر بها إقراراً كاملاً، وقد عبر بالمضارع (تشهد) ليفيد تجدد تلك الشهادة تجدداً استمرارياً.

(تعالى الله عما يقول المشبهون به والجاحدون له علوا كبيراً)أى وإن كانوا مشبهين أو جاحدين إلا أن قلوبهم مقرة بمعرفته- سبحانه- تنزه عن تشبيههم به شيئا من خلقه،والجملة أقيم الخبر فيها مقام الإنشاء، فلفظها خبر ومراد المتكلم إنشـــاء التعظيم والتنزيه للمولى ﷻ وعبر بالخبر إظهارا لحرصه- رضى الله عنه- على المطلوب .

وقد أكد الفعل (تعالى) بمصدره المنتصب (علوا) ثم وصفه (كبيرا) ليكـــون أوفى بالغرض،قال صاحب الكشاف :"ومعنى وصف العلو بالكبر المبالغة فى معنى البراءة والبعد مما وصفوا به "[١].

وفى الجملة تضمين جزئى لقوله - تعالى - "سُبْحَانَهُ وَتعَالى عمَّا يقولونَ عُلوًّا كَبيرًا"[٢] يقول ابن الأثير(ومن آتاه الله فى القرآن بصيرة فإنه يسبك ألفاظه ومعانيه فى كلامه ،ويستغنى به عن غيره).[٣]

---

(١)الكشاف للزمخشرى ط دار الفكر جـ٢ ص٤٥١.

(٢) سورة الإسراء آية ٤٣.

(٣)المثل السائر لابن الأثير تحقيق /كامل عويضة ط١ دار الكتب العلمية – بيروت ١٩٩٨ جـ١ص١١٧.

الخطبة الثانية
علمه ـ تعالى ـ لدقائق الأمور

(لا يشغلُه شأن، ولا يغيرُه زمان، ولا يحويه مكـــان، ولا يصـــفُه لسان ،لا يعزبُ عنه عددُ قطرِ الماء، ولا نُجُوم السماء، ولا سوافى الريحِ فى الهواء، ولا دبيبُ النمل على الصفا، ولا مقيلُ الـــذرِّ فـــى الليلةِ الظلماء، يعلمُ مساقطَ الأوراق، وخفىَّ طرفِ الأحداق، وأشـــهد أن لا إلهَ إلا الله غير معدولٍ به، ولا مشكوكٍ فيه، ولا مكفورٍ دينـــه، ولا مجحودٍ تكوينه، شهادةَ من صدقت نيتُه، وصفَتْ دخلتُه، وخلُصَ يقينُه، وثقُلتْ موازينُه) (١)

ينفى عن المولى ﷻ التأثر بالمتغيرات الزمانية والمكانية ،والانشغال بشأن ما ويثبت له ـ سبحانه- أنه يجل عن الوصف(لا يشغله شأن، ولا يغيره زمان، ولا يحويه مكان، ولا يصفه لسان) وهنا يأتى الإضمار قبل الذكر على ما تقتضى الفخامة والجلال للدلالة على نباهة المتحدث عنه، وأنه معلوم بغير إعلام ،متعين من دون تعيين سبحانه .

وقد عبر بالنكرات لإفادة العموم، إذ النكرة فى سياق النفى تعم فلا يشغله شأن عظم أو ضؤل، ولا يغيره زمان تقدم أو تأخر، ولا يحويه مكان رحب ولا ضيق، ولا يصفه لسان مهما برع فى البيان.

القرائن النثرية مسجوعة على النون المسبوقة بالألف فى جمل مستوية المقادير مما يضفى على الكلام جرساً موسيقياً يستميل الآذان للإصغاء.

---

(١) شرح نهج البلاغة جـ ١٠ ص٥٨.

ويعبر عن سعة علمه-سبحانه- فيقول(لا يعزب عنه عدد قطر الماء، ولا نجوم السماء، ولا سوافى الريح فى الهواء، ولا دبيب النمل على الصفا، ولا مقيل الذر فى الليلة الظلماء، يعلم مساقط الأوراق وخفى طرف الأحداق) فهو جل شأنه لا تخفى عليه دقائق الأشياء ولا صغارها قد أحاط بكل شئ علماً، وهنا يؤكد- كرم الله وجهه- هذا المعنى بالنص على أشياء دقيقة يصعب حصرها على ما سواه – سبحانه- مثل عدد قطرات المطر ونجوم السماء والرياح التى تذرى التراب إلخ ما جاء بالنص.

والفقرات سجعت فى أولها على الألف الممدودة ثم فى آخرها على القاف المسبوقة بألف المد لتذهب السآمة عن السامع، وبين (يعزب) و (يعلم) طباق.
وبعد أن ذكر النمل وأنه سبحانه يسمع دبيه على الحجر الأملس، أتبعه ذكر (الذر) وهو صغارها من ذكر الخاص بعد العام لتأكيد الغرض (ولا مقيل الذر فى الليلة الظلماء) وكأن الذر جنس آخر غير النمل لما فيه من مزيد خفاء، يعلم- عز وجل- موضع صغار النمل فى الليل المظلم وقد اجتمع على خفائه أمران الصغر والظلام بل شدة الظلام ليلاً، فالزمان والمكان من الخفاء والدقة بمكان إلا أن هذا بمقاييس البشر لا من يعلم ما دق واستتر.

وقوله (يعلم مساقط الأوراق) مقتبس من قوله- تعالى- " وما تسْقطُ من ورقةٍ إلا يعلمُها"[1] وللاقتباس موضعه وقدره من البديع.
كما يعلم حركة كل حدقة وطرف كل عين (وخفى طرف الأحداق) هذه الحركة على خفتها وسرعتها لا تعزب عنه- سبحانه- بل ولا ما خفى منها، وهذا على سبيل الاستقصاء للمعنى ليشمل كل ما يمكن أن يرد على الخواطر .
(وأشهد أن لا إله إلا الله غير معدول به، ولا مشكوك فيه، ولا مكفورٍ دينه، ولا مجحود تكوينه، شهادة من صدقت نيته، وصفت دخلته، وخلص يقينه، وثقلت موازينه) يشهد لله- سبحانه- بالوحدانية الخالصة من كل تسوية، البريئة من كل شك وكفران وجحود، شهادة بنية صادقة صافية ، ويقين ثابت، وموازين ثقيلة راجحة، وقد عبر بالمضارع (أشهد) ليفيد التجدد الاستمرارى فهو لا يفتر عن تلك الشهادة لا يزال يلهج بها لسانه، وينبض بها قلبه، وتملأ عقله ووجدانه.

---

(١) سورة الأنعام آية ٥٩.

ويلاحظ أن الجمل متناسبة فى الوزن فى الأغلب متساوية المقادير وهو ما يعرف بالتفويف " معدول، مشكوك، مكفور، مجحود" كلها زنتها مفعول.
وليعبر عن سلامة عقيدته وبراءتها عن كل ما سوى المولى -عز وجل- يبين نوع شهادته بأنها شهادة من(صفت دخلته) وهذا التعبير استعارة مكنية شبه الباطن بالماء بجامع النقاء فى كل، ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشئ من لوازمه وهو الصفاء ليبرهن على نقاء السريرة وعظم الإخلاص، فالصورة تعطى المعنى وبصحبته الدليل.
وقد ضمت الجمل (صدقت، وصفت، وخلص، وثقلت) بعضها إلى بعض وعطفت بالواو للتوسط بين الكمالين مع عدم المانع من الوصل، فقد اتفقت فى الخبرية لفظا ومعنى، وحسن الوصل اتفاقها فى الفعلية والماضوية.

الخطبة الثالثة
كيف يرى ربه؟

سُئل –رضى الله عنه – هل رأيت ربك؟ فقال: أفأعبد ما لا أرى؟ فقيل: وكيف تراه؟ فقال:

(لا تدركُه العيونُ بمشاهدةِ العيان، ولكن تدركُه القلوبُ بحقائق الإيمان، قريبٌ من الأشياءِ غير مُلامِس، بعيدٌ منها غير مُباين، مُتكلِّمٌ بلا رويّة، مريدٌ لا بهمة، لطيفٌ لا يوصَفُ بالخفاء، كبيرٌ لا يُوصَفُ بالجفاء ،بصيرٌ لا يوصفُ بالحاسة ، رحيمٌ لا يوصفُ بالرِّقّة، تَعْنُو الوُجُوهُ لعظمَتِه ، وتَجِبُ القُلُوبُ من مخافتِه) [1]

يأتى الجواب عن كيفية رؤيته - رضى الله عنه- لربه بقوله (لا تدركه العيون بمشاهدة العيان، ولكن تدركه القلوب بحقائق الإيمان) على الرغم من تقدم السؤال يلقى الكلام خالياً من التأكيد ليدل على أن تنزهه - سبحانه - عن إدراك العيون ووصول القلوب إلى معرفته بالإيمان ، حقائق يقينية لا تحتاج إلى تأكيد لتوافر الشواهد والأدلة عليها ،لذا نزل السائل منزلة خالى الذهن.

وليوضح المعنى بالتضاد طابق بين (لا تدركه العيون) و (تدركه القلوب) طباق سلب، فالفعل الأول منفى، والآخر مثبت ،وفيه من البلاغة ما فيه لأنه يجعل السامع يتدبر ويتفكر فى تعاور الإدراك وعدمه على شئ واحد؛ ليصل إلى أن هذا ليس إلا من خصائص الإله الواحد.
ثم تأتى بلاغة الحذف فى قوله (قريب من الأشياء غير ملامس) إذ يحذف المسند إليه من هذه الجملة وما يليها (بعيد.....) (متكلم .....) (مريد....)، (

---

(١) شرح نهج البلاغة جـ١٠ص٦٤.

لطيف....)، (كبير...)، (بصير...) (رحيم...) على ما تقتضيه الفخامة وعظم الشأن وكونه تعالى. متعيناً،معلوما بغير إعلام ؛ لانصراف الذهن بهذه الأوصاف إليه- جل وعلا- إذ لا موصوف بها سواه والتقدير هو قريب، وهو بعيد إلخ" ورب حذف هو قلادة الجيد وقاعدة التجويد"[١].

والمقصود من العبارة القرب المعنوى لتنزهه- تعالى- عن الحلول فى الأمكنة.

(بعيد منها غير مباين) إذ لا تتأتى منه البينونة لأنه ليس بجسم، و يلاحظ تعبيره بالنكرة ليفيد التعظيم والتفخيم.

أما كلامه - تعالى - فليس كسائر الكلام (متكلم بلا روية) كلامه صفة ذاتية أزلية على نحو يليق بجلاله، لا يحتاج- سبحانه- إلى التفكير فى الكلام قبل صدوره عنه- فكلامه معجز لذاته، ولا منفذ لقول القائل فيه، ولا محل للطعن عليه، وقد وقعت النكرة (روية) فى سياق النفى لتفيد العموم فيُنفى قليلها وكثيرها على حد سواء.

(مريد لا بهمة) أى إرادته للفعل لا يسبقها تمهيد ولا عزم ولا توطئة إنما قوله لشئ إذا أراده أن يقول له كن فيكون.

(لطيف لا يوصف بالخفاء) ومع عدم صحة رؤيته لا يوصف- سبحانه- بالخفاء فهو الظاهر بقدرته ودلائل وحدانيته المتجلى بإنعامه وعظيم إحسانه، وجملة (لا يوصف بالخفاء) احتراس[٢] من أن يتوهم متوهم أنه للطفه خفى، نعوذ بالله من ذلك.

(كبير لا يوصف بالجفاء) عظيم الشأن واسع السلطان، فالوصف كناية عن "عدم اهتداء العقول لوصف عظمته، وتنزهه عن إدراك العباد لذاته أو عظيم سلطانه"[٣]

"لما كان لفظ "كبير" إذا استعمل فى الجسم أفاد تباعد أقطاره، أراد أن ينزه البارى سبحانه- عما يدل عليه اللفظ من التجسيم فقال (لا يوصف الجفاء)"[٤].

---

(١) دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجانى .تحقيق/محمود شاكر .ط٣ المدنى١٩٩٢ ص١٥١.

(٢) أن يكون الكلام محتملا خلاف المقصود منه ،فيؤتى بكلام آخر مزيل لاحتمال غير المقصود (الإشارات والتنبيهات للجرجانى ، تحقيق د/عبد القادر حسين ط مكتبة الآداب ١٩٩٧م ص١٤٣).

(٣) أسلوب الكناية فى أسمائه الحسنى، د. هاشم يوسف الديب،جـ١ ١٩٩٤م، المطبعة الإسلامية الحديثة صـ٨٤.

(٤)شرح نهج البلاغة جـ١٠ص ٦٦. (٤) أسلوب الكناية فى أسمائه الحسنى ص٤٢.

(بصير لا يوصف بالحاسة) البصر كناية عن العلم، أطلق الملزوم وأراد اللازم وهو العلم إذ غالبا ما يحصل بالبصر، ولأنه- تعالى- مخالف للحوادث أتبع بقوله (لا يوصف بالحاسة) أى ليست له عين جارحة.
(رحيم لا يوصف بالرقة) يلاحظ أنه قد أتى بهذا الوصف وغيره من الأوصاف السابقة (قريب، بعيد، متكلم، لطيف، كبير) كلها نكرات توخياً للتفخيم والتعظيم، ورحمته- تعالى- كناية عن إنعامه وإحسانه إلى خلقه ولطفه بهم "فقد أطلق (الرحيم) الملزوم وأراد لازمه من فضل بره وإحسانه من سوق السحاب وإنزال الماء وبسط الرزق وكشف البلاء إلى غير ذلك من وافر نعمه وفضله على العباد"(٤) فرحمته فى الإنعام ودفع الضر والأسقام ونحوها.
من كانت هذه صفاته حقيق أن(تعنو الوجوه لعظمته) تذل وتخضع الوجوه لعظمته- تعالى- وقد عبر بالمضارع (تعنو) ليفيد تجدد الخضوع له- سبحانه- تجدداً استمرارياً على غير انقطاع، وبين (تعنو) و (عظمة) طباق يوضح المعنى بالتضاد، فالوجوه خاضعة خاشعة ذليلة، وهو- تعالى- عظيم بين العظمة جلى الجاه، واسع السلطان.
(وتجب القلوب من مخافته) يضم الجملة إلى سابقتها (تعنو) فيعطفها عليها بالواو للتوسط بين الكمالين مع عدم المانع من الوصل، فالجملتان خبريتان لفظاً ومعنى، وقد حسن الوصل اتفاقهما فى الفعلية والمضارعة، فالله- سبحانه- قد جمع بين الوصفين، تسقط أقنعة الكبرياء أمام عظمته، ويتضاءل كل مختال بين يدى سلطانه، وتخفق القلوب وتضطرب من مهابته، وقد عرف (الوجوه) و (القلوب) بأل (الجنسية) ليستغرق كل الوجوه وكل القلوب مهما بلغ جبروت أصحابها ومهما اشتدت سطوتهم وقوى نفوذهم.
هذا، والتعبير بالوجوه والقلوب من قبيل المجاز المرسل لعلاقة الجزئية عبر بها وأراد الذوات، واختار الأولى فى جملتها لأن الذلة والخضوع إنما يظهران فيها والوجه أشرف جزء فى الإنسان وعليه تظهر جميع انفعالاته، فإذا ذل فقد ذل جميعه.
كما أصاب فى التعبير بالقلوب فى الجملة الثانية، لأنها محل الخوف والخفقان والاضطراب وموقع المهابة والرهبة.

الخطبة الرابعة
من شواهد خلقه وآياته فى كونه

(الحمدُ للهِ الذى إليه مصائرُ الخلق، وعواقبُ الأمرِ، نحمدُه على عظيمِ إحسانِه، ونيِّرِ برهانِه، ونوامى فضلِه وامتنانِه، حمداً يكون لحقِّه قضاءً، ولشكرِه أداءً ، وإلى ثوابِه مُقرِّباً، ولحسنِ مَزيدِه مُوجِباً، ونستعينُ به استعانةَ راجٍ لفضلِه، مُؤمِّلٍ لنفعِه، واثقٍ بدفعِه، مُعترِفٍ له بالطَّوْلِ مُذْعِنٍ له بالعملِ والقول، ونؤمنُ به إيمانَ من رجاه مُوقِناً، وأنابَ إليه مؤمناً، وخضعَ له مُذْعِنًا، وأخلصَ له مُوَحِّداً، وعظَّمَه مُمَجِّداً، ولاذَ به راغباً مُجتهداً، لم يُولَدْ- سبحانَه- فيكون فى العِزِّ مُشارَكا، ولم يَلِدْ فيكون موروثًا هالكًا. ولم يتقدمْه وقتٌ ولا زمان، ولم يتعاورْهُ زيادةٌ ولا نُقْصان، بل ظهرَ للعقولِ بما أرانا من علاماتِ التَّدْبيرِ المُتْقَنِ، والقضاءِ المُبْرَمِ، فمن شواهدِ خلقِه خلقُ السّمواتِ مُوطَّداتٍ بلا عَمَد، قائماتٍ بلا سنَد، دعاهُنَّ فأجبْنَ طائعاتٍ مُذعِناتٍ، غيرَ مُتَلَكِّآتٍ ولا مُبْطِئاتٍ ، ولولا إقرارُهُنَّ له بالرُّبُوبيَّة، وإذعانُهُنَّ له بالطَّواعية، لما جعلهنَّ موضعاً لعرشِه، ولا مسكنًا لملائكتِه، ولا مَصْعَدًا للكلمِ الطيِّبِ، والعملِ الصالحِ من خلقِه،

جعلَ نجومَها أعلاماً يستدلُ بها الحيرانُ فى مختلفِ فجاجِ الأقطار، لم يمنعْ ضوءَ نورِها ادلهْمامُ سُجُفِ اللَّيْلِ المُظْلِمِ، ولا استطاعت جلابيبُ سوادِ الحَنادِسِ أن تَرُدَّ ما شاعَ فى السّمواتِ من تلألؤ نورِ القمــرِ، فسبحانَ من لا يخفى عليه سوادُ غسقٍ داج ، ولا ليل ساج، فى بقاعِ الأرضِ المُتَطَأْطِئَاتِ، ولا فى يَفاعِ السُّفْعِ المُتَجاوِراتِ وما يتجلجلُ به الرعدُ فى أُفقِ السَّماءِ، وما تلاشَتْ عنه بروقُ الغمامِ، وما تسقطُ من ورقةٍ تُزيلُها عن مسقطِها عواصفُ الأنواءِ وانهطالُ السماءِ! ويعلــمُ مَسقطَ القطرةِ ومقرَّها ومسحبَ الذَّرَّةِ ومَجَرَّها، وما يَكْفِى البعوضــةَ من قوتِها، وما تحملُ الأُنْثَى فى بطنِها) [1]

(الحمد لله) يبدأ الخطبة بحمد الله فيعرف الحمد ب(أل) الجنسية لاستغراق جنس الحمد كله له- تعالى- لاستحقاقه ذلك، ففى الجملة قصر طريقه تعريف المسند إليه ب(أل) التى لاستغراق الجنس، وهو قصر حقيقى.
ثم يصف المولى- عز وجل- بقوله (الذى إليه مصائر الخلق) ولنتأمل صلة الموصول (إليه مصائر الخلق) لنرى بلاغة القصر فى إنهاء جميع المصائر إليه -سبحانه- على جهة التخصيص بطريق التقديم، فقد قدم المسند الجار والمجرور (إليه) على المسند إليه (مصائر الخلق) ليفيد قصر الصفة(مصير الخلق) على موصوف هو رب العزة – جل علاه- وفى التعبير بالجمع (مصائر) وتعريف الخلق بـ (أل) ما يؤكد معنى القصر.
وبعد أن أثبت الحمد لله – تعالى- إجمالاً بدأ فى تفصيله فقال: (نحمده على عظيم إحسانه، ونير برهانه، ونوامى فضله وامتنانه) والتفصيل بعد الإجمال من شأنه

---

(١) شرح نهج البلاغة جـ١٠ص٧٦.

أن يؤكد المعنى فى ذهن المتلقى ويمكنه فى نفسه لوروده عليه مرتين، وفى التعبير بالمضارع(نحمده) ما يفيد تجدد الحمد منه تجدداً استمراريا إلى غير انقطاع، ودون ما تقصير ولا تكاسل.
وفى إثبات النور للبرهان (نير برهانه) وهو أمر معنوى تجسيد له وعرض فى معرض المحسوس المشاهد على سبيل الاستعارة المكنية.
هذه الصورة جعلت البرهان ساطعًا مقنعًا لا يُشك فيه ولا يُمترى كيف ؟ وقد برز للعيان يشع نورًا وضياء، إذن لا حجة لمن لا يستدل بهذا البرهان بل الحجة قائمة عليه ملزمة له بسلوك الطريق القويم .
أما قوله (ونوامى فضله وامتنانه) أى" الأرزاق النامية من إطالة الأعمار وكثرة الأرزاق ونحوها"[1] ففيه إثبات النمو للفضل والامتنان بتشبيههما بالأحياء على سبيل الاستعارة المكنية أيضاً.
أى أن أفراد فضله وامتنانه- سبحانه - فى نمو وتزايد،لا تنقطع عن خلقه ولا ينضب معينها ،وقد وهبت الصورة الفضل والامتنان حياة ودللت على سعة انتشارهما سعة لا يفنيها البذل، ولا ينقصها الحباء ٠
(حمداً يكون لحقه قضاء) يبين نوع الحمد الذى يرريد الوصول إليه- بلغنا الله إياه- إذ إنه يريد حمداً يؤدى حقه- تعالى- ويجتهد فى ذلك ما وسعه الاجتهاد لذا يقدم الجار والمجرور (لحقه) على متعلقه (قضاء) ليبين أنه مقصوده الأهم والأولى بالقضاء (ولشكره) على متعلقة (أداء) إذ شكره سبحانه هو الأحق بالأداء، ففى الجملة قصر حقيقى ادعائى طريقه التقديم.
وفى قوله (وإلى ثوابه مقرباً) تخيل الثواب شيئاً ماديا يُقترب منه، ثم حذفه ورمز إليه بشئ من لوازمه وهو القرب على سبيل الاستعارة المكنية، وفى هذا تجسيد للثواب وعرض فى معرض المحسوس مما يجعله متحققا متيقنًا.
وبعد أن أدى الحمد يأتى إلى الاستعانة فيقول: (ونستعين به استعانة راج لفضله) يضم هذه الجملة إلى جملة (نحمده) فيصل بينهما بالواو للتوسط بين الكمالين فهما خبريتان لفظاً ومعنى وحسن الوصل اتفاقهما فى الفعلية والمضارعة.
وإضافة الاستعانة إلى النكرة (راج) تفخيم وتعظيم لها وكذا تنكير (مؤمل، واثق، معترف) يحمل معنى التفخيم وأنه يحمل أملا عظيما فى النفع، ويثق ثقة لا حدود

---

(١) المرجع السابق جـ١٠، ص ٨٠.

لها فى دفعه- تعالى- للمضار، ويعترف اعترافا بالغا بنعمه، ويسلم ويخضع له قلبا وجوارحا، فعلا وقولا.
ولنتأمل جمال الحذف، وما يضفيه من ظلال على الجملة فى قوله (واثق بدفعه) إذ حذف مفعول المصدر (دفع) ليفيد العموم لكل أنواع المضار والبلايا والشدائد، فدفعه سبحانه للضر وكشفه للبلاء لا يقتصر على معين منها وهذا من جملة نعمه على عباده.
ويضم جملة (ونؤمن به إيمان من رجاه موقنا) إلى ما قبلها فيصل بينهما بالواو للتوسط بين الكمالين مع عدم المانع بل ههنا ما يحسن الوصل وهو اتفاقهما فى الفعلية والمضارعة بعد اتفاقهما فى الخبرية لفظا ومعنى وفى التعبير بالمضارع ما سبقت الإشارة إليه من إفادته التجدد الاستمرارى فحمده واستعانته وإيمانه متجدد لا ينقطع شكرا وعرفانا وإذعانا.
ويبين نوع الإيمان بقوله (إيمان من رجاه موقنا) أى إيمان من حسن ظنه به- تعالى- وأيقن تلبية رجائه وتوفيق سعيه، وفى التعبير بالاسم الموصول (من) إيماء إلى تعظيم من يجعل رجاءه لله خالصاً لا يرجو نفعا من أحد سواه مع إحسانه الظن به- تعالى- وإيقانه بتحقيق ما رجا.
" لم يولد- سبحانه- فيكون فى العز مشارَكا، ولم يلد فيكون موروثا هالكا. ولم يتقدمه وقت ولا زمان، ولم يتعاوره زيادة ولا نقصان، بل ظهر للعقول بما أرانا من علامات التدبير المتقن، والقضاء المبرم فمن شواهد خلقه خلق السموات موطدات بلا عمد، قائمات بلا سند، دعاهن فأجبن طائعات مذعنات، غير متلكآت ولا مبطئات ولولا إقرارهن له بالربوبية، وإذعانهن له بالطواعية، لما جعلن موضعاً لعرشه، ولا مسكنا لملائكته، ولا مصعدا للكلم الطيب، والعمل الصالح من خلقه"
يتبع- كرم الله وجهه- الحمد والاستعانة بالتنزيه لله تعالى- عن الوالد والولد فيقول (لم يولد- سبحانه) فيأتى بالجملة الاعتراضية (سبحانه) المفيدة للتنزيه، وبنية الاعتراض تعطى بلاغة رفيعة؛ إذ يحرص المتكلم على النطق بالجملة المعترضة قبل إتمام الجملة مبادرة إلى مضمونها.
وكما ترى قد حذف المسند إليه من الجملة وبنى الفعل للمجهول للجزم والقطع بنفى الفعل من أصله فلا فاعل له، فقطعاً ليس له- سبحانه- والد ورث الملك عنه فيكون هناك من يشاركه فى العزة الإلهية والتفرد وملك الكون وتيسيره وتسخير

المخلوقات وتدبير شئونها، وقد قدم الجار والمجرور (فى العز) على متعلقه (مشاركا) لتعلق الغرض به مبادرة إلى المطلوب.

ويعبر عن استحالة الهلاك عليه- تعالى- فيقول :(ولم يلد فيكون موروثاً هالكا) جريا على عادة البشر من موت الوالد وإرث الولد له، ويضم هذه الجملة إلى جملة (لم يولد....) للتوسط بين الكمالين فهما خبريتان لفظا ومعنى، وقد تضافرت الجملتان على أداء معنى واحد من نفى الشريك وانقطاع النظير واستحالة أن يسبق أو يلحق بعدم، وقد احتج للمعنى على طريق المذهب الكلامى[١] وهو محسن بديعى معنوى له أثر عظيم فى تأكيد المعنى وتثبيته.

(ولم يتقدمه وقت ولا زمان) إذ هو الأول فلا شئ قبله- سبحانه- وقد عبر- كرم الله وجهه- بالنكرة (وقت، زمان) فى سياق النفى لإفادة العموم، ومع أن الوقت هو الزمان إلا أنه أتى بهما من باب التفنن فى العبارة.

(ولم يتعاوره زيادة ولا نقصان) أى لم يختلف عليه- سبحانه- زيادة ولا نقصان لمخالفته للحوادث،فله الكمال كل الكمال، وتراه ليوضح المعنى بالتضاد طابق بين (الزيادة) و(النقصان) ليشملهما النفى معاً، وقد أكد النفى بـ (لا) الزائدة يقول ابن هشام "إذا قلت: ما جاءنى زيد ولا عمرو ،فالعاطف الواو،و(لا) توكيد للنفى"[٢].

(بل ظهر للعقول بما أرانا من علامات التدبير المتقن، والقضاء المبرم)
جاءت هذه الجملة مجيبة عما عساه أن يُسأل إذا كان قد استحال عليه ماسبق، فكيف عرفناه إذن؟ أى عرفته العقول ولم تره العيون، بل رأت دلائل قدرته، وشواهد خلقه، ولما كان قوله (ظهر) يوهم الرؤية أتبعه بقوله (للعقول) فقد ظهر- سبحانه- للبصائر لا الأبصار، وعبر بالموصول فى(بما أرانا) قصد التفخيم والتعظيم للصنعة لتدل على عظم الصانع، ليفيد أن ما يستدل به عليه- سبحانه- لا يحاط به لأنها دلائل لا تتناهى لذوى البصائر والتمييز، ثم يأتى ب(من) البيانية (من علامات التدبير) أى علامات تدبيره لشئون الكون تدبيراً

---

(١)هواحتجاج المتكلم على المعنى المقصود بحجة عقلية تقطع المعاند له فيه (البديع فى ضوء أسليب القرآن .أ د/عبد الفتاح لاشين .ط دار الفكر العربى١٩٩٩ ص٧٥).
(٢) مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب .لابن هشام .تحقيق / ح الفاخورى.ط ٢دار الجيل ١٩٩٧م جـ١ص٤٠١.

متقناً يستحيل عليه الخلل إذ يسير الكون فى نظام عجيب دون تناقض ولا قصور صنع الله الذى أحسن كل شئ خلقه، وقد عبر باسم المفعول (المُتقَن، المُبرَم) لتعين الفاعل سبحانه حقيقة إذ لا متقِن ولا مبرم سواه.

ثم يفسر شيئا من علامات التدبير المتقن فيقول(فمن شواهد خلقه خلق السموات موطدات بلا عمد، قائمات بلا سند) وتشويقاً إلى ذكر المسند إليه (خلق السموات) قدم المسند (من شواهد خلقه) حتى إذا ما ورد على المتلقى تمكن فى نفسه فضل تمكن لمجيئه بعد شوق وطلب.

وتقع النكرتان (عمد، سند) فى سياق النفى فتفيدان العموم؛ لمزيد من التدليل على قدرة العلى الجليل، فالسموات على عظمها وسعة أقطارها وامتدادها عبر الآفاق لا تقلها ولا تمسكها إلا قدرة الخلاق فسبحانه " إن اللهَ يُمسكُ السمواتِ والأرضَ أن تزُولا".[١]
أما قوله:(دعاهن فأجبن طائعات مذعنات غير متلكآت ولا مبطئات) فيعبر عن انقياد السموات لرب البريات وسرعة إذعانها لأمر الكينونة دون ما توان ولا إبطاء وأنى لها ذلك؟ وقد خلقها على عينه وحسنها وزينها وقال: " لخلقُ السّمواتِ والأرض أكبرُ من خلق النَّاس"[٢].

ولننظر إلى جودة العطف بالفاء المفيدة للترتيب والتعقيب فى قوله(فأجبن) لتوحى بسرعة الإجابة المتلبسة بالطاعة والإذعان، ثم نتأمل تأكيد تلك السرعة بالأحوال المتتالية (طائعات، مذعنات، غير مُتَلَكِّآتٍ، ولا مُبطئات) ليأتى التأكيد الصريح بعد الإيحاء والتلميح.
(ولولا إقرارهن له بالربوبية، وإذعانهن له بالطواعية لما جعلهن موضعا لعرشه، ولا مسكنا لملائكته، ولا مصعداً للكلم الطيب والعمل الصالح من خلقه) ولكرامة السموات على الله شرفها بجعلها مكانا للعرش والكرسى ومسكنا للملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم، فلا يعصى الله فيها فهى مكان طاهر مطهر لا يصعد إليه من الكلم إلا الطيب، ولا يرفع إليه من العمل إلا الصالح، وما

---

(١)فاطر من الآية٤١.
(٢) غافر من الآية٥٧.

ذاك إلا لعظيم إذعانهن بالربوبية والطاعة فـ (فى الحوار الذى يدور بين الخالق وبين السماء والأرض فيلقى عليهما السؤال ويتلقى منهما الإجابة ،والسماء والأرض من الجمادات التى لا تسمع ولا تعى ولا تجيب ،فوهب لهما فكر الآدميين وعواطفهم الإنسانية ،فهما يحسان ما حولهما ويرهفان السمع ،ويأنسان بكلام الله ،فيسرعان إلى تلبية الأمر ،والانقياد للقدرة الإلهية)[١] " أتيْنا طائعينَ"[٢].

تكرار الجار والمجرور (له) إطناب غرضه التأكيد، وتوخيا لتفخيم السموات استخدم فنية التنكير فى (موضع، مسكن، مصعد).
وكما ترى يتضح اقتباسه من ألفاظ القرآن الكريم: (الكلم الطيب، العمل الصالح) وكيف لا وهو تنفعل به نفسه ويعيشه بكل جوارحه حفظا وفهما وتطبيقا!.
(جعل نجومها أعلاماً يستدل بها الحيران فى مختلف فجاج الأقطار، لم يمنع ضوءَ نورها ادلهمامُ سجف الليل المظلم، ولا استطاعت جلابيب سواد الحنادس أن ترد ما شاع فى السموات من تلألؤ نور القمر، فسبحان من لا يخفى عليه سواد غسق داج ولا ليل ساج، فى بقاع الأرض المتطأطئات، ولا فى يفاع السفع المتجاورات وما يتجلجل به الرعد فى أفق السماء، وما تلاشت عنه بروق الغمام) يواصل حديثه عن شواهد خلقه- سبحانه- فى السموات فيتحدث عن نجومها التى سخرها لنفع العباد أعلاماً يستدل بها فى الظلمات فيقول (جعل نجومها أعلاماً يستدل بها الحيران فى مختلف فجاج الأقطار) فيستخدم فنية التنكير فى (أعلاماً) توخياً لتعظيمها لعظم نفعها؛ إذ تهدى الحيران المتخبط فى الظلام فيأمن أن يقع فى مهواة، أو يعثر على عدو قاتل أو آفة مهلكة، وخص (الحيران) بالذكر على الرغم من استدلال غيره بها لأنه أكثر حاجة وأعظم فاقة إليها تنير طريقه فتزيل حيرته وتوصله إلى ما ينشد. وفى تشبيه النجوم بالأعلام تأكيد للاستدلال بها، إذ الوجه هو الهداية والدلالة ،والتشبيه مؤكد مجمل.
(لم يمنع ضوءَ نورها ادلهمامُ سجف الليل المظلم) وعلى الرغم من شدة ظلمة الليل وكثافتها وإلقائه سدوله على كل شئ إلا أنه لم يستطع أن يحول دون ضوء

---

(١) مع القرآن فى إعجازه وبلاغته ،أ.د/عبد القادر حسين .ط الأمانة ص٢٠٨.
(٢)فصلت من الآية ١١.

النجوم فشعاع مثل سم الخياط منها يخترق- بقدرة العلى القدير- ظلماته ويبددها وهذا من عجائب خلقه سبحانه.
وتراه- كرم الله وجهه- يتوخى التأكيد على شدة الظلام وإطباق بعضه على بعض فيقول :(ادلهمام سجف الليل المظلم) فيشبه الليل بجمع من الستور المطبق بعضها فوق بعض تشبيها مؤكداً مجملاً أضيف فيه المشبه به (سجف) إلى المشبه (الليل) ويجعل هذه السجف مدلهمة، ويتمم بوصف الليل بـ (المظلم) مع أنه معلوم أنه يكون مظلما ليفيد المبالغة، وهذا استقصاء للمعنى إذ أتى بكل ما تقع عليه الخواطر من لوازمه،فقد احتاط لجعل الليل شديد الظلام فجعل سدوله مدلهمة محكمة النسج لا يستطاع خرقها ،وعلى الرغم من ذلك لا يستطيع منع ضوء النجوم الذى أراد الله له أن ينفذ.
(ولا استطاعت جلابيب سواد الحنادس[١] أن ترد ما شاع فى السموات من تلألؤ القمر) وعلى الرغم من أن القمر داخل فى عموم مصابيح السماء التى لم تستطع ظلمة الليل الكثيفة أن تمنع ضوء نورها إلا أنه يفرده بهذه الجملة ليعطى إطناباً طريقة ذكر الخاص بعد العام " وإنما خص القمر بالذكر وإن كان من جملة الكواكب لشرفه بما يظهر للأبصار من عظم حجمه وشدة إضاءته"[٢].
وتراه يجعل من سواد الليالى المظلمة جلابيب كثيرة قد يتصور أن تحجب نور القمر ولكنها لا تستطيع وأنى لها ذلك وقد أراد الله له أن ينفد ويكشف الحجب، وعليه فقد شبه السواد بالجلابيب فى الإحالة والمنع تشبيها مؤكداً مجملاً أضيف فيه المشبه به (جلابيب) إلى المشبه (سواد) وقد اختار التعبيير بالجمع دون المفرد ليفيد المبالغة فى شدة تلألؤ القمر وأنه يخترق جلابيب عدة قد أحكم نسجها من السواد.
وانظر إلى جمال التعبير بالاسم الموصول فى قوله (أن ترد ما شاع من تلألؤ نور القمر) فإنه يوحى بتفخيم هذا التلألؤ وكثرة شيوع نور القمر وتفرقه وانتشاره ليملأ الآفاق ويهدى السارين فى جنح الظلام والسالكين شعاب الجبال.
(فسبحان من لا يخفى عليه سواد غسق داج، ولا ليل ساج، فى بقاع الأرضين المتطأطئات، ولا فى يفاع السفع المتجاورات)

---

(١)الحنادس:ثلاث ليال من الشهر شديدة الظلام (لسان العرب٣/٣٥٦).
(٢) شرح نهج البلاغة ١٠/٨٦.

تنزيه وتمجيد له- تعالى- إذ أحاط علمه بكل دقيق وخفى فلا يُحجب بظلمة، ولا يُعزب بسكون فى منخفض ولا مرتفع، فلنتأمل التعبير بالاسم الموصول(من) إذ يوحى بالفخامة والعظمة وعلو الشأن والتنزه عن النظير، وما تنم عنه مراعاة النظير بين الخفاء والسواد والظلمة والليل والسكون فكلها ألفاظ مؤتلفة المعانى تأتى من واد واحد وتصب فى معين واحد وتوحى بالإبهام والغموض،لتتعاون جميعا على تأكيد المعنى وأداء الغرض.

وقد ساعد التعبير بالنكرة (غسق، ليل) على تأكيد إحاطة علمه بكل غامض ومبهم فالنكرة فى سياق النفى تعم.

ولما كان انخفاض الأرض مدعاة إلى خفاء ما فيها، وصف الأرضين بالمتطأطئات) أى المنخفضات، ولما كان تجاور الجبال أكثر إخفاء للأشياء خلفها وبين ثناياها وصف السفع بـ (المتجاورات) ليكون يقين السامع بعلمه- سبحانه- أتم وأقوى، فهذا من التتميم بالوصف.

وقد وشى العبارة ونمقها بالجناس المصحف[١] بين (بقاع) و (يفاع)، وبالسجع فالقرينتان الأوليان مسجوعتان على حرف الجيم، والأخريان على حرف التاء.

(وما يتجلجل به الرعد فى أفق السماء، وما تلاشت عنه بروق الغمام)

"قد يكون- تعالى- يحدث فى الرعد جلجلة، أى صوتا ليهلك به قوماً أو لينفع به قوماً، فعلمه بما تتضمنه تلك الجلجلة هو معنى قولنا: يعلم ما يصوت به الرعد، ولا ريب أن البرق يلمع فيضئ أقطاراً مخصوصة، ثم يتلاشى عنها (أى يضمحل) فالبارى سبحانه عالم بتلك الأقطار التى يتلاشى البرق عنها"[٢]

أجاد استخدام الاسم الموصول (ما) الموضوع لما أبهم لأن صوت الرعد فعل مبهم للخلق فلا يعلم أحد ما أخفى من حكمة فيه.

والفعل (جلجل) فاؤه ولامه الأولى من جنس وعينه ولامه الثانية من جنس فالفعل مضاعف يوحى بتداخل صوت الرعد واختلاطه الذى لا يعلم ما به إلا العليم القدير – سبحانه- وعليه فقد أجاد- كرم الله وجهه- استخدام هذه المادة ووظفها لأداء المعنى أتم توظيف. وصاغها فعلاً ليوحى بتجدد الجلجلة شيئاً فشيئا وحدوثها حالاً بعد حال.

---

(١) ما اختلف فيه اللفظان المتجانسان في النقط (لباب البديع.أ د/ محمد حسن شرشر.ط١ الطباعة المحمدية ١٩٩٨م ص١٧٨).

(٢) شرح نهج البلاغة ٨٧/١٠.

و" علمه (تعالى) بما ليس بمضئ بالبرق أعجب وأغرب، لأن ما يضيئه البرق يمكن أن يعلمه أولو الأبصار الصحيحة فأراد - كرم الله وجهه- أن يشرح من صفاته- سبحانه- ما هو بخلاف المعتادين البشر، ليكون إعظام السامعين له- سبحانه- أتم وأكمل"[1] لذا قال (وما تلاشت عنه بروق الغمام) أى الأماكن التى أبرقها الغمام ثم اضمحل عنها وتجاوزها إلى غيرها فهذا مما يخفى على الخلق لأن البرق لم يلبث بتلك الأماكن ليفطن الناس لها وإنما يقع علمهم ويتعلق بما هو جلى مضاء بالبرق.

وقد أجاد استخدام حرف الجر (عن) المفيد للمجاوزة ؛ليؤكد أن البرق ترك هذه الأماكن وتجاوزها تمامًا إلى غيرها ،وأنه على الرغم من ذلك يتعلق علم الله - تعالى - بها .

(وما تسقط من ورقة تزيلها عن مسقطها عواصف الأنواء وانهطال السماء! ويعلم مسقط القطرة ومقرها ومسحب الذرة ومجرها، وما يكفى البعوضة من قوتها، وما تحمل الأنثى فى بطنها)

أى لا يخفى عليه سبحانه مسقط الورقة الذى أزيلت عنه بفعل العواصف والأمطار فموضع سقوطها معلوم له لا محالة على الرغم من أنها لم تستقر فيه.

وقد أتى- كرم الله وجهه- بـ(من) الزائدة جارة للنكرة فى قوله (من ورقة) لتأكيد معنى عموم وشمول علمه- عز وجل- لكل الأوراق ومواضع سقوطها وكيف لا؟ وهى لا تزول إلا بأمره وما العواصف والأمطار إلا أسباب لإزالتها، وعليه فإسناد (تزيل) إلى (عواصف الأنواء)، (انهطال السماء) مجاز عقلى علاقته السببية يفيد قوة العواصف، وغزارة انصباب المطر.

ويضيف من مفردات علم الله - تعلى- (ويعلم مسقط القطرة ومقرها، ومسحب الذرة ومجرها)

يضم جملة (ويعلم...) إلى ما قبلها فيصل بينها بالواو للتوسط بين الكمالين مع عدم المانع من الوصل، فقد اتفقتا فى الخبرية لفظا ومعنى، وحسن الوصل اتفاقهما فى الفعلية.

وقد اتفقت أكثر الألفاظ وزناً وتقفية فجاء السجع مرصعا فكل كلمة تتفق من مقابلتها فى الوزن، مما أضفى على الجملة جرسا وتنغيماً يجعلها بالأذهان ألصق، ويبرز ما لها من ماء ورونق.

---

(١)السابق ٨٧/١٠.

أى مهما تناهى الشئ فى الصغر والخفاء والتقلب والتغيير فإنه لا يعزب عن علمه- سبحانه- . ألا يعلم من خلق؟
(وما يكفى البعوض من قوتها، وما تحمل الأنثى فى بطنها)
التعبير بالموصول يوحى بالإبهام والغموض،ولأن الحاجة إلى الرزق متجددة عبر بالفعل المضارع (يكفى) ليفيد التجدد والحدوث وأنه كلما تجددت حاجة البعوضة إلى القوت هيأ لها- سبحانه- ما يكفيها منه، يقول الإمام الرازى معلقا على قوله تعالى "هَلْ مِنْ خالقٍ غيرُ اللهِ يرزقُكم مِنَ السَّماءِ"[١]:(فتمام المقصود لا يحصل بمجرد كونه معطيا للرزق بل بكونه معطيا للرزق فى كل حين وأوان)[٢] لذا عبر بالمضارع (يرزقكم) المفيد للتجدد ، وعلى الرغم من أنه معلوم أن البطن موضع قرار الحمل إلا أنه نص عليها صراحة فى قوله (فى بطنها) ليؤكد معنى استتار الحمل واجتنانه وأنه من الخفاء بمكان تقف عنده وتعيا عن اختراقه كل قوى الحوادث، فلا يعلمه إلا خالقه- جل وعلا-، لذا وقع التقييد بالجار والمجرور موقعا حسناً من الذهن.

" والحمدُ للهِ الكائنِ قبلَ أن يكونَ كرسىٌّ أو عرشٌ أو سماءٌ أو أرضٌ أو جانٌّ أو إنسٌ، لا يُدركُ بِوَهْمٍ، ولا يُقدَّرُ بفَهْمٍ، ولا يشغلُه سائلٌ، ولا ينقصُه نائلٌ، ولا يُنظَرُ بعين، ولا يُحَدُّ بأَيْن، ولا يوصَفُ بالأزواج، ولا يخلقُ بعلاج، ولا يُدركُ بالحواسّ، ولا يُقاسُ بالنّاس، الذى كلَّمَ موسى تَكْلِيما، وأَراهُ من آياتِه عظيما، بلا جوارحَ ولا أدوات، ولا نطقٍ ولا لَهوات، بل إن كنتَ صادقًا أيها المتكلِّفُ لوصفِ ربِّك، فصِفْ جبريلَ وميكائيلَ وجنودَ الملائكةِ المُقَرَّبين، فى

---

(١) سورة فاطر من الآية ٣.
(٢) تسهيل نهاية الإيجاز فى دراية الإعجاز للرازى ، تفسير وتيسير أ.د/ عبد القادر حسين،ط بيروت ص٥٨.

حُجُراتِ القُدسِ مُرْجَحِنِّين[١]، متولهة عقــولُهم أن يحــدُّوا أحســنَ الخالقين، وإنما يُدرَكُ بالصفاتِ ذوُو الهيئاتِ والأدواتِ، ومن ينقضى إذا بلغَ أمدَ حدِّه بالفَناءِ، فلا إلهَ إلا هو أضاء بنورِه كلَّ ظلام، وأظلم بظلمتِه كلَّ نور".[٢]

(ال) فى (الحمد) لاستغراق الجنس فهى تفيد قصر الحمد كل الحمد على الله تعالى قصر صفة على موصوف وهو قصر حقيقى فهو الحقيق به دون ما سواه، ومهما حمد الحامدون لا يوفون، بل تقصر أنفاسهم دون الغاية.
ثم يعبر –رضى الله عنه – عن صفة القدم بقوله:(الكائن قبل أن يكون كرسى أو عرش أو سماء أو أرض أو جان أو إنس) فهو الأول بلا بداية الكائن قبل أن يكون شئ فلا شئ قبله- سبحانه- وتنكير هذه المعطوفات يدل على العموم.
ويسترسل فى تمجيد الذات الإلهية وتنزيهها فيقول: (لا يدرك بوهم، ولا يقدر بفهم) أى لا تعرف ذاته- سبحانه- بالتوهم ولا بالتخيل ولا التقدير، وهنا يوظف التنكير لخدمة المعنى توظيفا سديدا، فيضع النكرة (وهم، فهم) فى سياق النفى لتفيد العموم، إذ تعجز كل الأوهام والأفهام عن إدراك ذاته- سبحانه- مهما بلغ ذكاء أصحابها وحدة فطنتهم.
وقد زين الجملتين بالجناس بين (وهم) و (فهم) وكذا السجع لتكونا ألصق بالأذهان وأكثر رسوخا فى الأفهام فيكون ذلك أدعى إلى استكناه معناهما، وفهم مغزاهما.
(ولا يشغله سائل، ولا ينقصه نائل) أى وسع أمر الخلق أجمعين، يدبر شئون الكون أجمع فى آن واحد دون أن يشغله أحد عن أحد فلا يشغله سائل عن إعطاء غيره ولا ينقص نائل من فيض جوده، فعطاؤه ممتد لا إلى غاية، وسخاؤه لا يحد بنهاية.

---

(١) من(ارجحن الشئ:أى مال من ثقله وتحرك) لسان العرب ١٤٣/٥.أى مائلين إلى جهة تحت خضوعًا للبارى سبحانه.
(٢) شرح نهج البلاغة ٨٨/١٠.

وقد وصل- رضى الله عنه- بين الجملتين بالواو للتوسط بين الكمالين مع عدم المانع من الوصل، بل وحسن الوصل اتفاقهما فى الفعلية والمضارعة، ووضع النكرتين فى سياق النفى ليفيد العموم أيضاً (و لا ينظر بعين، ولا يحد بأين) أى تنزه سبحانه عن الرؤية فلا تدركه الأبصار، وعن الحلول فلا يحده مكان، ولابد لبناء الفعلين للمفعول من علة وهى انعدام الفاعل أى إفادته عموم نفى الفعل أيضاً وبين (عين) و(أين) جناس مضارع؛ فالحرفان اللذان وقعا فيهما الاختلاف من حروف الحلق .
ويسترسل فى التدليل على مخالفته - تعالى - للحوادث فيقول (ولا يدرك بالحواس) فبعد أن أفرد العين هناك أجمل الحواس كلها هنا، وهذا إطناب طريقه ذكر العام بعد الخاص يؤدى إلى تأكيد المعنى وتقريره فى نفس الوقت،ولربما توهم عجز العين وقدرة حاسة غيرها.
وفى قوله (ولا يقاس بالناس) يتحدث عن صفة مخالفته سبحانه للحوادث "لَيْسَ كمثْلِهِ شَئٌ"(١)، ولا شك أن بناء الفعل للمفعول يفيد الاختصار.

(الذى كلم موسى تكليما، وأراه من آياته عظيما بلا جوارح ولا أدوات ولا نطق ولا لهوات) يتابع الحديث عن المخالفة للحوادث فكلامه- سبحانه- ليس ككلام البشر فقد كلم- سبحانه- موسى- عليه السلام- دون ما حاجة إلى جوارح وأدوات النطق عند البشر من لسان ولهاة وأسنان وشفاه ونحوها مما يعمل التكلم عندنا فسبحانه تنزه عن ذلك وتعالى علوا كبيرا وقوله (كلم موسى تكليما) اقتباس من القرآن الكريم، وفى قوله (وأراه من آياته عظيما) إيجاز بحذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه، والتقدير (أمرا عظيما)، وتنكير جوارح وما عطف عليها فى سياق النفى يفيد العموم أيضاً.
(بل إن كنتَ صادقًا أيها المتكلّفُ لوصفِ ربِّك، فصِفْ جبريلَ وميكائيلَ وجنودَ الملائكةِ المُقرَّبين، فى حُجُراتِ القُدسِ مُرْجَحِنِّين، متولهة عقولُهم أن يحدُّوا أحسنَ الخالقين، وإنما يُدرَكُ بالصفاتِ ذوُو الهيئاتِ والأدواتِ، ومن ينقضى إذا بلغَ أمدَ حدِّه بالفناءِ) يتحدى - رضى الله عنه – من يزعم أنه يستطيع وصف ربه أن يصف جبريل أو ميكائيل أوغيرهما من الملائكة ،وهذا تعجيز له ليحاول فعل

---

(١) الشورى من الآية ١١ .

ذلك فيعيا ويدرك عجزه ويرتدع ، وحين لا يستطيع فمن باب أولى يعجز عن وصف من هو أعلى رتبة وأرسخ مكانة وأوسع سلطانًا .
بل إن هؤلاء الملائكة خاضعون للبارى عقولهم حيرى متولهة لا يستطيعون أن يحدوا أو يحيطوا بوصفه - تعالى – وإنما يجوز وصف ذوى الهيئات ومن يرد عليه الفناء ، أما الباقى فلا .
فالأمر (صف) خرج عن معناه الحقيقى إلى معنى مجازى هو التعجيز "والعلاقة بين الطلب والتعجيز ما بينهما من شبه التضاد فى متعلقهما ،فإن التعجيز فى المستحيلات ،والطلب فى الممكنات ،أو السببية ؛لأن إيجاب شىء لا قدرة عليه يلزم التعجيز عنه "[١]
وفى الكلام إطناب طريقه ذكر العام بعد الخاص، فقد ذكر أولا جبريل وميكائيل ثم عامة الملائكة لما لهما من مزيد فضل لتوكل أولهما بالوحى والآخر بالرزق .
وليؤكد نفى إدراكهﷻ بالوصف يأتى بجملة القصر (وإنما يدرك بالصفات ذوو الهيئات والأدوات ، ومن ينقضى إذا بلغ أمد حده بالفناء) وطريق القصر هنا (إنما) وهو قصر صفة (الإدراك) على موصوف (ذوى الهيئات والأدوات ومن يرد عليه الفناء)،قصر حقيقى تحقيقى أفاد إثبات الإدراك بالصفات للحوادث ونفاه عن خالقها على وجه التأكيد والإيجاز .
هذا ، وقد احتج للمعنى على طريق المذهب الكلامى ، فإذا أدرك بالصفات ذوو الهيئات والأدوات ومن مآله إلى الفناء، والله - تعالى - ليس كذلك لأنه تنزه عن الهيئات والأدوات وثبت له البقاء ، إذن يستحيل عليه الإدراك بالصفات ،والمذهب الكلامى طريق سديد لإقناع المعاند بالحجة والبرهان .
(فلا إله إلا هو أضاء بنوره كل ظلام، وأظلم بظلمته كل نور) يأتى العكس والتبديل[٢] ذلك المحسن البديعى المعنوى ليدل على كمال قدرته- سبحانه- تلك القدرة الباهرة التى تشمل المتناقضات إذ تجمع بين القدرة على الإضاءة، والقدرة على الإظلام بأمره وحده سبحانه"وهذا الأسلوب يجذب الانتباه حين تتكرر العبارة وتفيد معنى جديدا ،إلى جانب أنه يجعل المعنى تارة مستحقا لتقديم لفظه وتارة مستحقا لتأخيره"[٣].

---

(١) من بلاغة النظم العربى .أ د/ عبدالعزيز عبد المعطى عرفة ط٢ عالم الكتب ١٩٨٤م. جـ ٢ص٧٧.
(٢) أن يقدم فى الكلام جزء ثم يؤخر (العمدة لابن رشيق ٢٣/٢).
(٣) حاشية الدسوقى ضمن شروح التلخيص ٣١٨/٤.

والعبارة- على قصرها- حوت كثيرا من فنون البلاغة،منها القصر فى قوله (لا إله إلا هو) وهو حقيقى تحقيقى يؤكد تفرده - تعالى - بالألوهية،ومنها روعة المقابلة والضد يظهر حسنه الضد، فضلا عن العكس والتبديل.

الخطبة الخامسة

حث العباد على سؤاله – تعالى – لقربه وسعة عطائه

(الحمدُ للهِ الذي أظهرَ من آثارِ سلطانِه، وجلالِ كِبريائِهِ، ما حيَّرَ مقلَ العقولِ من عجائبِ قدرتِه، وردعَ خطراتِ هماهمِ النُّفوسِ عن عرفانِ كُنهِ صفتِه، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا الله شهادةَ إيمانٍ وإيقان، وإخلاصٍ وإذعان،وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه أرسلَه وأعلامُ الهدى دارسة ، ومناهجُ الدينِ طامِسة،فصَدَعَ بالحقّ، ونصحَ للخلق، وهدَى إلى الرُّشد، وأمر بالقصدِ صلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّم، واعلموا- عبادَ الله- أنه لم يخلقْكم عبثًا، ولم يُرسلْكم هَمَلاً علم مَبْلغَ نعمِه عليكم، وأحصى إحسانَه إليكم فاستفتحوه واستنجحوه، واطلبوا إليه واستمنحوه، فما قطعَكم عنه حِجابٌ، ولا أُغلِق عنكم دونَه بابٌ، وإنه لبكُلِّ مكانٍ، وفى كل حينٍ وأوانٍ، ومع كل إنسٍ وجان، لا يثلمُه العطاءُ، ولا ينقصُه الحِباءُ، ولا يستنفدُه سائلٌ، ولا يستقصيه نائلٌ، ولا يلويه شخصٌ عن شخصٍ، ولا يلهيه صوتٌ عن صوتٍ، ولا تحجزُه هبةٌ عن سلبٍ، ولا

يشغلُه غضبٌ عن رحمةٍ، ولا تولهُه رحمةٌ عن عقــابٍ ،ولا يُجنُّــه البُطونُ عن الظُّهورِ، ولا يقطعُه الظهورُ عن البطونِ، قَرُبَ فنــأى، وعلا فدنا، وظهر فبطن، وبطن فعلن، ودانَ ولم يُدَن، لم يَذْرَأ الخلقَ باحتيالٍ، ولا استعان بهم لكلالٍ)[١]

(الحمد لله الذى أظهر من آثار سلطانه، وجلال كبريائه، ما حير مقل العقول من عجائب قدرته، وردع[٢] خطرات هماهم النفوس عن عرفان كنه صفته)

يبدأ الخطبة- رضى الله عنه- بالثناء على الله - جل وعلا- فهو الحقيق بالحمد على جليل نعمائه فيما أظهر من آثار عظمته وامتداد سلطانه إذ أذهل العقول وأبهر، وزجر النفوس عن أن تهمهم- فضلا عن أن تفكر- فى كنهه وحقيقته، وتعريف الحمد ب(أل) الجنسية لاستغراق جنس الحمد وجميع المحامد لتخص بالله عز وجل- من قبيل قصر الصفة على الموصوف، قصرا حقيقيا، فقد " دل بلامى الجنس والملك على اختصاص الحمد به تعالى"[٣]

ولنتأمل إتباعه لفظ الجلالة بالاسم الموصول وصلته فى قوله (الذى أظهر من آثار سلطانه...) فقد عبر بالفعل الماضى (أظهر) ليفيد تحقق الظهور لآثار سلطانه- تعالى- وهيمنته منذ الأزل ليتفكر المتفكرون ويعتبر المعتبرون فيهتدوا إلى معرفة المبدع المهيمن لإفراده بالعبادة، ثم علق بالفعل (من) التبعيضية ليفيد أن ما أظهره للخلق فكان منهم العجب إنما هو قليل من كثير وغيض من فيض، فآثاره ممتدة بلا نهاية وسلطانه واسع لا إلى غاية، القليل منها يجعل العقول تتيه حيرى من عظمتها وتدرك قصورها عن الإحاطة بها.

ثم يأتى المفعول فى قوله (ما حير مقل العقول...) اسم موصول ليفيد تفخيم ما أظهر من تلك الآثار، وأنه لا يدرك كنهه، ولا يستطاع وصفه، وإضافة المقل إلى

---

(١) شرح نهج البلاغة ١٠/١٧٠.

(٢)زجر ودفع،وهماهم النفوس :أفكارها وما يهمهم به عند الروية فى الأمر،وأصل الهمهمة:صويت يسمع لا يفهم محصوله (شرح نهج البلاغة١٠/١٧١).

(٣)حاشية السيد الشريف على الكشاف ٣/١.

العقول من إضافة المشبه به إلى المشبه، فقد شبه العقول بالعيون فى القدرة على الفحص والتدقيق، ليدل على أن العقول مهما بلغت درجة وعيها لن تستطيع الإحاطة بآثار سلطانه وهيمنته.
ويضم جملة (وردع خطرات...) إلى جملة (حير...) فيصل بينها بالواو للتوسط بين الكمالين فقد اتفقتا فى الخبرية لفظاً ومعنى، وحسن الوصل اتفاقهما فى الفعلية والماضوية.
وانظر إلى جمال المبالغة فى قوله(وردع خطرات هماهم النفوس عن عرفان كنه صفته) فلا يستطيع أحد أن يهمهم مجرد همهمة أو أن يحدث نفسه بالتفكير فى حقيقة صفته تعالى، فترك الإدراك إدراك، والبحث عن حقيقة الذات إشراك.
هذا وقد وظف حرف الجر (عن) فى الجملة توظيفاً سديداً لخدمة المعنى بدلالته على المجاوزة لتجاوز النفوس عرفان كنه صفته إلى التأمل فى ملكوته ودلائل وجوده وشواهد وحدانيته وعجائب قدرته.
ويلاحظ أن الجملة قد توالت وتتابعت فيها الإضافات فقد أضاف (خطرات) إلى (هماهم)،و(هماهم) إلى (النفوس) ،وأضاف (عرفان) إلى (كنه) و (كنه) إلى (صفة)،و(صفة) إلى الضمير إلا أنها إضافات جيدة السبك، فهى مستساغة غير معيبة.
(وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة إيمان وإيقان، وإخلاص وإذعان) صاغ من الشهادة فعلا مضارعا دلالة على التجدد والحدوث، واستخدم كلمة التوحيد فى صورة القصر بطريق النفى والاستثناء ليعطى تأكيداً فوق تأكيد.
ثم يعظم الشهادة ببيان نوعها (شهادة إيمان وإيقان، وإخلاص وإذعان،) فيستخدم فنية تنكير التعظيم فهو لا يريد مطلق إيمان وإذعان وإنما يريد أعلى درجات الإيمان واليقين وأعمق الإخلاص، وأقصى درجات التسليم والإذعان للواحد الديان.
(وأشهد أن محمداً عبده ورسوله) يستخدم التأكيد لينم عن عظم تأكد الخبر فى نفسه لتنفعل به نفس المتلقى فيكون أعمق إيمانا من ذى قبل، وإضافة (عبد، ورسول) إلى ضمير لفظ الجلالة إضافة تشريف للمضاف.
(أرسله وأعلام الهدى دارسة، ومناهج الدين طامسة) جعل الهدى أعلاماً قد عفا أثرها وانمحى فجسد المعنى وعرضه فى صورة محسوسة مرئية وذلك عن طريق التشبيه فقد أضاف المشبه به (أعلام) إلى المشبه (الهدى) ووجه الشبه

الدلالة وقد صاغ ذلك فى جملة حالية ، ولنتأمل جمال التعبير بالجملة الحالية إذ أبان عن فضل إرساله- صلى عليه وآله وسلم- والحال هذه حين عم الظلام وساد الضلال فجاء ليأخذ بناصية العباد إلى سبل الهداية والرشاد، وينير لهم العقل والفؤاد.

(ومناهج الدين طامسة) طرقه غير واضحة ولا بينة، جعل للدين طرقا توصل إليه قد درست وطمست معالمها فلا يستطاع الوصول إليه، وهذا سبيل الاستعارة المكنية، التى صورته شيئا ماديا محسوسا، و (طامسة) ترشيح للاستعارة.

"فصدع بالحق، ونصح للخلق، وهدى إلى الرشد، وأمر بالقصد صلى الله عليه وآله وسلم"

وصل بين هذه الجمل فعطف بالواو للتوسط بين الكمالين، فقد اتفقت فى الخبرية لفظاً ومعنى، وحسن الوصل اتفاقها فى الفعلية والماضوية.

وأصل الصدع: الشق فى الشئ الصلب كالزجاج ونحوه، فاستعير بهذا للتبليغ بجامع الإبانة وشدة التأثير فى كل، إذ شبه التبليغ بالصدع، ثم استعير المشبه به للمشبه، فاشتق منه (صدع) بمعنى (بلغ) على سبيل الاستعارة التبعية فى الفعل الماضى.

يقول الرمانى "والاستعارة أبلغ من الحقيقة ،لأن الصدع بالأمر لا بد له من تأثير كتأثير صدع الزجاجة ،والتبليغ قد يصعب حتى لا يكون له تأثير فيصير بمنزلة ما لم يقع ، والمعنى الذى يجمعهما الإيصال ، إلا أن الإيصال الذى له تأثير كصدع الزجاجة أبلغ "[١].

هذه الصورة تؤكد أن الرسول- صلى الله عليه وسلم- أبان عن الحق أتم ما يكون البيان وأوضحه على وجه لا يكون بعده لبس ولا غموض لئلا يكون للناس على الله حجة بعد رسالته صلى الله عليه وسلم.

(ونصح للخلق) أراد لهم الخير وأخلص، وهو باللام أفصح، قال تعالى" ونصحت لكم"[٢] فقوله (نصح للخلق) أفصح من (نصح الخلق)فـ(فى زيادة اللام مبالغة ودلالة على إمحاض النصيحة وأنها وقعت خالصة للمنصوح له مقصودا بها جانبه لا غير.... ولا نصيحة أمحض من نصيحة الله تعالى ورسله

---

(١) النكت فى إعجاز القرآن ،للرمانى.ضمن ثلاث رسائل،ط دار المعارف ص٨٠ .
(٢) الأعراف من الآية٩٣.

عليهم السلام)[١]، ورسولنا- عليه السلام- أنصح الخلق للخلق أجمعين كيف لا؟ وقد قال الله تعالى فيه " لقد جاءكم رسولٌ من أنفسِكم عزيزٌ عليه ما عنتم حريصٌ عليكُم بالمؤمنينَ رءوفٌ رحيم"[٢]

أما قوله(وهدى إلى الرشد) فينم عن بالغ تأثيره ﷺ فى دلالة الخلق إلى سبل الصواب والرشاد،فقد أسند الفعل (هدى)إلى ضميره ﷺ على سبيل المجاز العقلى لعلاقة السببية؛إذ الفعل لله حقيقة قال –تعالى-"إنكَ لا تهدِى مَنْ أحببْت ولكِن اللهَ يهدى مَن يشاءُ"[٣]

ولأن التبليغ والنصح والهدى قد تحقق على أكمل وجه عبر بالفعل الماضى المؤكد لتحقق الوقوع.

كما أنه- صلى الله عليه وسلم- أمر بالتوسط والاعتدال (وأمر بالقصد) وفى اللسان " القصد: استقامة الطريق.... والقصد العدل... والقصد فى الشئ خلاف الإفراط وهو ما بين الإسراف والتقتير"[٤] وفى النص يحتمل المعانى الثلاثة ويحتمل القصد بمعنى التوجه إلى الله تعالى- وإخلاص النية له فى كل عمل، فنجد أن التعبير بهذه الكلمة من قبيل الإيجاز إذ حملت على قصرها- عدة معان من استقامة وعدل وتوسط فى الإنفاق وأم وجه الله- تعالى - وإخلاص العمل له.

وقد وشى هذه الجمل بالسجع الحسن فى عفوية وسلاسة دون ما تكلف ،فالقرينتان الأوليان مسجوعتان سجعًا مرصعًا على حرف القاف والأخريان على حرف الدال، مما أعطى جرسا موسيقيا يجعلها أعلق بالآذان والأذهان.

ثم عقب- رضى الله عنه- بالجملة الدعائية (صلى الله عليه وآله وسلم) تلك الخبرية لفظا الإنشائية معنى؛ إظهاراً لصدق الرغبة فى تحقق قبولها منه.

---

(١) الكشاف٢/٨٦.
(٢) سورة التوبة آية ١٢٨.
(٣) القصص من الآية٥٦.
(٤) لسان العرب ١١/١٧٩، ١٨٠.

ثم يتوجه - رضى الله عنه- إلى العباد بالنصح فيقول (واعلموا- عباد الله- أنه لم يخلقكم عبثا، ولم يرسلكم هملا)[١] ولأنه يريد حضور الخلق للانتفاع بالموعظة جذب أسماعهم واسترعى انتباههم بالإنشاء إذ بدأ بالأمر (واعلموا) ثم زاد فى التنبيه فاعترض بالنداء (عباد الله) بين فعل العلم ومفعوله، بحذف حرف النداء ليصل إليهم فى سرعة خاطفة ليفطنوا إلى حقيقة ما يقول ويعملوا بمقتضاها، وليدل على قربهم من قلبه؛ لذا يريد بهم الخير فهم رعيته الذين يعمل من أجلهم، ويحمل مسئوليتهم فى عنقه.

ثم ينفى أن يكون خلق العباد بلا غرض ولا علة (أنه لم يخلقكم عبثاً) وهم يعلمون ذلك تمام العلم ولكنه نزلهم منزلة من يتردد فى مضمون الخبر فأكده لهم؛ إيحاء بعدم جريهم على مقتضى علمهم، وأنهم غافلون عن تلك الحقيقة ؛ لذا ينبغى أن يجتهدوا فى العبادة قال- تعالى- " وما خلقتُ الجنَّ والإنسَ إلا ليعبُدُون"[٢]

ثم يبين أن الله- تعالى- لم يتركهم كالإبل المرسلة بلا راع فيقول (ولم يرسلكم هملا) كيف وقد أرسل إليهم الرسل بشرعه ليبينوا لهم أوامره ونواهيه ووعد المطيعين بالثواب وتوعد العاصين بالعقاب، فالكلام على نفى مشابهتهم للإبل السائمة بلا راع ولا حاد، بل ونفى تسويتهم بها.

(علم مبلغ نعمه عليكم، وأحصى إحسانه إليكم) أى" هو عالم بكمية إنعامه عليكم علما مفصلا، وكل من علم قدر نعمته على غيره كان أحرى أن تشتد نقمته عليه عند عصيانه له وجرأته عليه، بخلاف من يجهل قدر نعمته على الغير، فإنه لا يشتد غضبه لأنه لا يعرف قدر نعمته المكفورة"[٣]، هذا، وقد وصل بين الجملتين فعطف بالواو للتوسط بين الكمالين فقد اتفقتا فى الخبرية لفظا ومعنى، وحسن الوصل اتفاقهما فى الفعلية والماضوية. ويلاحظ أن فى الكلام إطنابا غرضه التأكيد على شمول علمه- تعالى- ودقة إحصائه لنعمه وإحسانه على الرغم من كثرتهما كثرة يعيى عنها حصر الحاصرين ويعجز عد العادين.

---

(١) أهملت الشئ: خليت بينه وبين نفسه، والهمل: السدى (مقاييس اللغة ٦٧/٦) وما ترك الله الناس هملا أى سدى بلا ثواب ولا عقاب وقيل بلا أمر ولا نهى ولا بيان لما يحتاجون إليه والهمل: الإبل المرسلة بلا راع (لسان العرب ١٣٥/١٥،١٣٦).

(٢) سورة الذاريات آية ٥٦.

(٣)شرح نهج البلاغة ١٧٢/١٠.

(فاستفتحوه واستنجحوه، واطلبوا إليه واستمنحوه) يتجه إلى قومه بالنصح بأن يسألوا الله- جلت نعماؤه- الفتح والنجاح والمنحة والعطاء، إذ تخرج أفعال الأمر عن معناه الحقيقى إلى معنى مجازى هو الوعظ والإرشاد إلى ما فيه خير العباد، مقترنة بالهمزة والسين والتاء لتفيد الحث على المبالغة فى الطلب والاستيفاء أى لا تألوا جهدا فى سؤال الفتح والظفر والمنح فربكم ذو الطول المعطاء لا ينقصه الحباء، والدعاء مخ العبادة.

(فما قطعكم عنه حجاب، ولا أغلق عنكم دونه باب) أى لا يمنعكم من الدعاء شئ، ولا يحول بينكم وبينه حائل، فليس بينكم وبينه أدنى حجاب، ولم يقصكم عن الوصول إليه أى باب، وقد صاغ- رضى الله عنه- الجملتين صياغة محكمة، فوضع النكرتين (حجاب، باب) فى سياق النفى ليفيد العموم فينفى كل الحجب والأبواب ما قل منها وما كثر ،ما عظم منها وما صغر على حد سواء، كما أخر المسند إليه عن المفعول والجار والمجرور وكأنه يريد إقصاءه واستبعاده ليكون أشد لنفيه.

(وإنه لبكل مكان، وفى كل حين وأوان، ومع كل إنس وجان) يؤكد الخبر بـ(إن) واللام اعتناء بشأن الحكم ليزداد تنبه المخاطب له فيعمل على مقتضاه فيدعو ويسأل فى كل مكان، ويراقب ربه فى كل عمل أينما كان.

ويلاحظ أنه استخدم فنية التنكير فى (مكان، حين، أوان، إنس، جان) ليؤكد معنى العموم المستفاد من (كل) فهو سبحانه لا يوجد ببعض الأمكنة دون بعض وإنما هو موجود فى كل مكان وجوداً يليق بذاته لا كوجود الحوادث، وتأكيدًا لشمول معيته- سبحانه- لكل خلقه يعبر- رضى الله عنه- بالطباق بين (إنس) و (جان) لتشمل معيته الثقلين لا يشغله أحدهما عن الآخر.

ومهما سألتم واغترفتم من فيضه (لا يثلمه العطاء، ولا ينقصه الحباء) فعطاؤه- تعالى- لا يصيب ملكه بأدنى خلل ،ففى المقاييس "يسمى الخلل ثلمة وإن لم يكن فى الطرف"[١] وحباؤه لا ينقص من جوده وإنعامه قدر أنملة، فعليكم بسؤاله ودعائه فهو القائل " "ادعُونى أستجبْ لكُم"[٢]ويلاحظ أن فى الكلام إطناباً نسبياً فالجملتان بمعنى،والغرض بسط الكلام وإطالته بصدد تمجيد الله وتنزيهه عما

---

(١)مقاييس اللغة مادة (ثلم) جـ١ ص ٣٨٤.
(٢)غافر من الآية ٦٠.

يلحق البشر من ظنهم نقصان ملكهم بالإعطاء وبخلهم خشية الإملاق، كما أن فى الإطناب مزيدا من حث المخاطبين على التوجه إليه سبحانه والثقة فى عطائه ونواله.

(ولا يستنفده سائل، ولا يستقصيه نائل) عطاؤه لا ينفد، ونواله لا يحد مهما بالغ فى طلبه واستيفائه أحد، وفى الجملتين يضع النكرة فى سياق النفى ليفيد العموم فلا يبلغ أقصى جوده أحد عظم أو ضؤل، ولا يُفنى عطاءه سائلٌ علا قدره أو نزل.

هذا، وقد تعاطفت الجمل بعضها على بعض، إذ وصل بينها بالواو للتوسط بين الكمالين، وحسن الوصل اتفاقها فى الفعلية والمضارعة (لا يثلمه، ولا ينقصه، ولا يستنفده، ولا يستقصيه)

وكما ترى يمتع الآذان بجرس موسيقى فريد نتج عن السجع المرصع المتساوى الفقرات، وهو أعلى السجع وأحلاه، فهو حقاً يطبع الأسجاع بجواهر لفظه، ويقرع الأسماع بزواجر وعظه.

(ولا يلويه شخص عن شخص، ولا يلهيه[1] صوت عن صوت) لا يشغله شخص عن غيره فيقتضى هذا الشغل إعراضا عن الآخرين، بل هو العالم بالجميع فى آن واحد، وأينما كانوا، وعلى أية حال أو صفة من وجهاء القوم أو ضعفائهم، سادتهم أو عبيدهم فمهما بلغ شأو شخص ومهما علا صوته فهذا لا يقتضى شغلا به عمن سواه، وقد أعان على هذا المعنى استخدام النكرة- أيضاً- فى سياق النفى.

(ولا تحجزه هبة عن سلب، ولا يشغله غضب عن رحمة ولا تولهه رحمة عن عقاب) لا تمنعه الهبة لمن يستحق العطاء عن سلب النعمة ممن يكفرها ويجحدها، ونراه- رضى الله عنه- يعبر عن طلاقة القدرة الإلهية وإحاطتها بكل شئ، فيوظف الطباق توظيفاً سديداً لأداء المعنى إذ فى مقدوره- سبحانه الجمع بين الأضداد فبين (هبة) و (سلب) طباق إيجاب وذكر المقابل لا محيص عنه لكمال القدرة وسعة السلطان.

---

(١) لهوت بالشئ: تشاغلت به عن غيره (اللسان ٣٤٧/١٢).

وبين (الرحمة) و (الغضب) طباق خفى إذ الغضب يستلزم القسوة والغلظة المضادة للرحمة، فهو- سبحانه- يغضب على العصاة والكافرين وعلى الرغم من ذلك لا يشغله الغضب عن كونه رحيماً بالصالحين والمؤمنين فالغضب قل أو كثر، عظم أو ضؤل، لا يناقض عنده- رحمة ، فالتنكير يفيد العموم أيضاً.

وكذا الرحمة لا تولهه عن عقاب المستحق، فلا تُحدِث- عنده- رقة على المغضوب عليهم. فكذا التنكير لإفادة العموم.

(ولا يجنه البطون عن الظهور، ولا يقطعه الظهور عن البطون)

" لا يمنعه خفاؤه عن العقول أن تدركه عند ظهوره بأفعاله لها وإن لم يكن ظاهراً بذاته، وكذلك لا يقطعه ظهوره بأفعاله عن أن يخفى كنهه عن إبصار العقول وإدراكها له"[١] قال- تعالى- : " لا تدركُه الأبصارُ وهو يدركُ الأبصارَ وهو اللطيفُ الخبيرُ"[٢]. فهو سبحانه- ظاهر بأفعاله وآثار سلطانه خفية ذاته، جلت عن أن تدرك أو أن ترسم فى مخيلة أحد.

وبين (يجنه، البطون) و (الظهور) طباق يوضح المعنى بالتضاد فهو- سبحانه- "الأولُ والآخرُ والظاهرُ والباطنُ وهو بكل شئ عليم"[٣] هذا التضاد يوضح ويقرر مخالفته- تعالى- للحوادث إذ يتصف بالصفة ونقيضها فى آن واحد بينما فى غيره اجتماع النقيضين باطل.هذا وقد تعاطفت الجمل بالواو للتوسط بين الكمالين، فهى متفقة فى الخبرية لفظا ومعنى.

وقد زين الكلام بمحسن بديعى هو العكس والتبديل الذى جاء أصيلاً فى الكلام منقاداً للمعنى مسخراً لخدمته، هذا المحسن له عميق الأثر على المتلقى إذ يثير فكره ويجدد نشاطه ليتابع الحديث بشغف حتى يكشف عن مراميه،ففى الجملة الأولى قدم (البطون) وأخر (الظهور)، وعكس فى الثانية فقدم (الظهور) على (البطون) ،وبه تجد أن الكلام قد بدا مكررا ،فإذا أنعمت النظر تجلى ما تحته من فائدة وكبير معنى.

---

(١) شرح نهج البلاغة ١٠/١٧٤.
(٢) سورة الأنعام آية رقم (١٠٣).
(٣) سورة الحديد آية رقم ٣.

(قرب فنأى، وعلا فدنا، وظهر فبطن، وبطن فعلن، ودان ولم يدن)

أى " قرب فعلاً فنأى ذاتاً، أى أفعاله قد تعلم، ولكن ذاته لا تعلم، ولما علا عن أن تحيط به العقول عرفته العقول، لا أنها عرفت ذاته، لكن عرفت أنه شئ لا يصح أن يعرف، فإن ماهيته يستحيل أن تتصور للعقل فى الدنيا ولا فى الآخرة"[١].

واستمرارًا فى تمجيد الله- تعالى- وإيضاحاً وتقريراً لمخالفته للحوادث يثبت له الصفة ونقيضها (القرب والبعد) (العلو والدنو) (السر والعلن) وهذا تعبير عن القدرة المطلقة وعن سعة السلطان التى ليست إلا لبارئ الأكوان، ويشكل الطباق هاهنا بنية تعبيرية أصيلة فى المعنى بل لا يؤدى المعنى بدونها، فهو سبحانه قريب من عباده يعلم أحوالهم ويعمل على ما يصلح شئونهم ويجيب أدعيتهم؛ بعيد عن أن يدرك كنهه أو يحاط بذاته، عالٍ عن أن يكون ذلك فى مقدور أحد، ظاهر لا يخطئه قصد من يتوجه إليه، باطن مستتر عن العيون والأنظار تطمح إليه.

ثم يتوج- رضى الله عنه- هذه الطباقات بطباق للسلب فيقول (ودان ولم يدن) فهو- سبحانه- ذو القهر والغلبة، دون أن يلحقه- تعالى- منهما شئ، فهو يدين الخلق وحاشا أن يدان، ففى اللسان " دان الناس: قهرهم على الطاعة.... ودانه: أذله واستبعده"[٢] وفى المقاييس " دين الرجل يدان: إذا حمل عليه ما يكره"[٣]تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرا.

ومن مظاهر قدرته ﷻ أنه (لم يذرأ الخلق باحتيال، ولا استعان بهم لكلال) "لم يخلقهم بحيلة توصل بها إلى إيجادهم، بل أوجدهم على حسب علمه بالمصلحة خلقاً مخترعا من غير سبب ولا واسطة"[٤]، كيف وهو يقول للشئ كن فيكون!؟

كما أنه " لم يأمرهم بالتكليف من جهاد ونحوه لحاجة فى قهر أعدائه، وليس بكال ولا عاجز عن إهلاكهم"[٥] كيف وهو العزيز الجبار القوى المتين!؟ فهو- سبحانه- لم يتكلف أدنى حيلة لخلقهم، ولم يجد فى نفسه عجزاً للاستعانة بهم، وقد

---

(١) شرح نهج البلاغة ١٠/١٧٤.
(٢) لسان العرب ٤/٤٥٨-٤٦١.
(٣) مقاييس اللغة ٢/٣٢٠.
(٤) شرح نهج البلاغة ١٠/١٧٤.
(٥) السابق١٠/١٧٤.

وظف- رضى الله عنه- التنكير لخدمة المعنى، فتنكير (احتيال) للتحقير، و(كلال) للتقليل.

ويختم - رضى الله عنه - الخطبة بسجعته التى على اللام المسبوقة بألف مد ؛لتعيها الآذان وتظل محفورة فى الأذهان بمالها من جرس موسيقى يدفع إلى استكناه معناها ليجعله المتلقى على ذكر منه .

الخطبة السادسة
من شواهد مخالفته ـ تعالى ـ للحوادث

(الحمدُ للهِ العلىّ عن شبهِ المخلوقين، الغالب لمقالِ الواصفين،الظاهر بعجائبِ تدبيره للنّاظرين ، والباطن بجلالِ عزَّتِه عن فكرِ المتوهمين، العالم بلا اكتسابٍ و لا ازدياد ، و لا علمٍ مُستفاد ، المقدّر لجميع الأمور بلا رويّة ولا ضمير، الذى لا تغشاهُ الظُّلمُ ولا يستضىءُ بالأنوار، ولا يرهقُه ليلٌ، ولا يجرى عليه نهار، ليس إدراكُه بالإبصار ولا علمُه بالإخبار)[1]

(الحمد لله العلى عن شبه المخلوقين، الغالب لمقال الواصفين)

يبدأ- رضى الله عنه- بحمد الله والثناء عليه فتأتى جملة (الحمد لله) فى صورة قصر طريقه التعريف بلام الجنس ليستغرق جنس الحمد لله كله فيثبته للمولى- عز وجل- فهو الحقيق بالحمد دون ما سواه، فالحمد كل الحمد له- جل فى علاه.

وقد جاء مثبتاً له - تعالى- بلام الملك فى قوله (لله) فهو مملوك له- سبحانه- لا ينازعه فيه أحد.

ثم يصف الجليل بقوله (العلى عن شبه المخلوقين) فهو ليس كمثله شئ، ويجوز جر (العلى) على الإتباع ويجوز رفعه على القطع على سبيل المدح وهو الأولى بالمقام، وبذا نرى توالى الجمل الاسمية الدالة على الثبوت والدوام فهى تثبت صفات دائمة باقية لذى الجلال والبقاء-سبحانه.

---

(١) السابق١١/٦٢.

كما يسترعى الانتباه حرف الجر (عن) المفيد للمجاوزة المؤكد لمعنى علوه- سبحانه- وتخطيه ومجاوزته لشبه المخلوقين لتتعاون مفردات الجملة على أداء معنى واحد كما تقتضى نظرية النظم عند الإمام عبد القاهر.

وتتجلى دقته - رضى الله عنه - فى اختيار الألفاظ ، إذ اختار لفظ (المخلوقين) على (الخلق) لأن الأول أرفع رتبة لاختصاصه بالعقلاء ، بينما يشمل لفظ (الخلق) العقلاء وغيرهم من إنس وجن وحيوان ونبات وجماد ونحوها .

ثم يعبر عن عجز القول عن وصف جلاله وعظمته وقصور العقول عن إدراك كنهه بقوله (الغالب لمقال الواصفين) أى مهما وصفوا وأطنبوا، وأطالوا وأسهبوا لن يحيط القول بكنه جلاله- سبحانه- فهذا غلبة منه لأقوالهم لعجزها عن إيضاحه وكأن منافسة جرت بينهما أثبت الغلبة فى النهاية له جل فى علاه وهذا على سبيل الاستعارة.

" فى الحديث " إن رحمتى تغلب غضبى" إشارة إلى سعة الرحمة وشمولها للخلق، وإلا فرحمة الله- تعالى- وغضبه صفتان راجعتان إلى إرادته للثواب والعقاب وصفاته لا توصف بغلبة إحداها الأخرى، وإنما هو على سبيل المجاز للمبالغة"[1] هذه الصورة وهبت التعبير حياة وحركة ،إذ جعلت الأقوال فى شغل دءوب محاولة وصف جلاله باذلة قصارى جهدها وكأن أقوال الواصفين تسارع للوصول فتعيا دونه إذ يحوز جلاله السبق .

(الظاهر بعجائب تدبيره للناظرين و الباطن بجلال عزته عن فكر المتوهمين)

سبحانه جمع بين الظهور والبطون فهو ظاهر جلى لعيون الناظرين بتدبيره للكون وما أودعه من آيات وعجائب ودلائل على خالقه ومنظم حركته ومدبر أمر مخلوقاته،باطن خفى لا تدركه الأبصار وتعيا عن تقدير كنهه العقول والبصائر فمهما توهم متوهم وتفكر متفكر فإنه يبوء بالعجز نحوها، وهكذا يتضح المعنى بالتضاد من خلال المطابقة بين (الظاهر) و (الباطن) .

(العالم بلا اكتساب ولا ازدياد ، ولا علم مستفاد) علمه - تعالى - صفة ذاتية أزلية ثابتة ،لم تأتِ باكتساب ولا تعلم ، ولا تقبل زيادة ولا نقصان ، وكما ترى يضع - رضى الله عنه- النكرات (اكتساب ،ازدياد،علم) فى سياق النفى ليفيد العموم.

---

(١) لسان العرب ٩٨/١٠.

(المقدر لجميع الأمور بلا روية ولا ضمير) يجوز أن يكون لفظ (المقدر) خبرا لمبتدأ محذوف ،والتقدير:هو المقدر فيكون قد حذف المسند إليه على سبيل القطع والاستئناف،يقول الإمام عبد القاهر (يذكرون الرجل ويقدمون بعض أمره، ثم إذا استأنفوا الحديث عنه أتوا بخبر من غير مبتدأ)[١]

هنا يصف المولى - جل وعلا- بأنه يقدر الأمور كلها على جهة الشمول دون أن يشذ منها شيء دون أن يحتاج إلى إعمال فكر أو جهد فى هذا التقدير، وتراه – أيضا-يضع النكرة (روية، ضمير) فى سياق النفى ليؤكد أنه-سبحانه-لا يحتاج الى أدنى روية ولا أقل ضمير أو تفكير فى التقدير،وأن هذا لا يجوز عليه-سبحانه- ولمزيد من تأكيد النفى يكرر حرف النفى (لا) مع العاطف.

ويقرر- رضى الله عنه - أنه لا يجوز عليه - تعالى - ما يجوز على غيره فيقول (الذى لا تغشاه الظلم ، ولا يستضىء بالأنوار) لايجرى عليه ظلام فيستره أو يغطيه لأنه ليس بجسم ولا يستضىء بالأنوار إذ هو البصير بذاته لا بالأنوار ويصل بين الجملتين (لا تغشاه) و(لا يستضيء) للتوسط بين الكالمين، فقد اتفقتا فى الخبرية لفظا ومعنى،وحسن الوصل اتفاقهما فى الفعلية والمضارعة.

وقد زين الجملة وحسنها بطباق أصيل مستدعى من قبل المعنى بين(الظلم) و(الأنوار)، هذا الطباق أفاد جمعه- سبحانه- بين الحالين، وأنه لا يجوز عليه شيء مما يجوز على الحوادث منها، فهو يجمع بين عدم التضرر بالظلام، ونفى الاستضاءة بالأنوار إنما يستضاء بنوره سبحانه.

(ولا يرهقه ليل، ولا يجرى عليه نهار) لا يؤثر فيه-سبحانه- تعاقب الليل والنهار لأنه ليس بزمانى فهو القديم الباقى،بينهما الواحد منا ينقص من عمره تعاقبهما ويؤثر فى سائر شئونه، فإذا حل ظلام الليل كف عن العمل، وإذا طلع النهار راح شغل دءوب، وهو ليس كذلك تعالى عن ذلك علو كبيرا.

والجملتان متضامتان إلى السابقتين أيضا- إذ وصلتا بالواو،للتوسط بين الكمالين فقد اتفقت فى الخبرية لفظا ومعنى،وحسن الوصل اتفاقها فى الفعلية والمضارعة.

وقد حسنهما الطباق بين (الليل)و(النهار)الذى أفاد شمولية مخالفته- تعالى- للحوادث.

---

(١) دلائل الإعجاز ت/محمود شاكر ط٣ المدنى ١٩٩٢ص١٤٧.

(ليس إدراكه بالإبصار ولا علمه بالإخبار) يتوخى- رضى الله عنه- الإطناب بهذه الجملة ليؤكد مضمون ما سبق من أن بصره وعلمه ذاتيان دون واسطة ولا اكتساب إذ يقول (لا يستضىء بالأنوار) ويقول(العالم بلا اكتساب) فهو- سبحانه- ليس كذوات البصر يتخذ الإبصار وسيلة للإدراك ولا يحصل علمه مما تخبره به الملائكة فهو بصير عليم لذاته لا لأمر خارج عنها.

هذا ،وقد عبر عن المعنى بألفاظ متناسبة المعانى، يعاون بعضها بعضا فى الوصول إلى الغرض ،فبين (الإدراك) و(العلم) و(الإخبار) مراعاة نظير.وهكذا ينهى- رضى الله عنه- الخطبة بسجعة الراء ليظل هذا الحرف بماله من صفة التكرار عالقا بالأذهان مذكرا بمضمون الخطبة وعظاتها.

الخطبة السابعة
عظته - رضى الله عنه - للمغتر بكرم ربه

عند تلاوته قول الله - تعالى - : " يا أيّها الإنسانُ ما غرَّكَ بربِّك الكريمِ"[١] قال **(أدحضُ مسئولٍ حجةً، وأقطعُ مغترٍ معذرةً، لقد أبرحَ جهالةً بنفسِه يا أيّها الإنسانُ، ما جرَّأك على ذنبِك، وما غرَّك بربِّك، وما أنّسَك بهلكةِ نفسِك!؟ أما مِن دائِك بُلولٌ[٢]، أم ليس من نومِك يقظة؟ أما ترحمُ من نفسِك ما ترحمُ من غيرِك! فلربَّما تَرى الضَّاحى من حرِّ الشمسِ فتُظلّه، أو ترى المُبتَلَى بألمٍ يمضُّ جسدَه فتبكى رحمةً له! فتداوَ من داءِ الفترةِ فى قلبِك بعزيمةٍ، ومن كَرَى الغفلةِ فى ناظرِك بيقظةٍ، وكُن للهِ مُطيعًا، وبذكرِه آنِسًا، وتَمَثَّلْ- فى حالِ تَوَلِّيك عنه- إقبالَه عليك، يدعوك إلى عفوِه، ويتغمَّدُك بفضلِه، وأنتَ متولٍّ عنه إلى غيرِه،فتعالى من قويٍّ ما أكرمَه! وتواضعْتَ من ضعيفٍ ما أجرأَكَ على معصيتِه! وأنت فى كنفِ سترِه مُقيمٌ، وفى سعةِ فضلِه مُتَقَلِّبٌ[٣] فلم يمنعْك فضلَه، ولم يهتكْ عنك سترَه، بل لم تَخْلُ من**

---

(١) سورة الانفطار آية (٦).
(٢) بَلّ من مرضه يَبِلُّ بَلاً وبللا وبُلولا...: برأ وصح.(لسان العرب ٤٩٠/١).
(٣) تقلب فى الأمور وفى البلاد: تصرف فيها كيف شاء ، وفى التنزيل " فلا يغررك تقلبهم فى البلاد) لسان العرب ٢٦٩/١١.

لطفِه مطرفَ عينٍ، فى نعمةٍ يُحْدِثُها لك أو سيئةٍ يسترُها عليك، أو بليَّةٍ يصرفُها عنك، فما ظنُّك به لو أطعْتَه!؟ وايم اللهِ لـو أن هـذه الصفةَ كانت فى مُتَّفِقَيْن فى القوَّةِ، مُتوازِيَيْن فى القـدرةِ لكنـتَ أوَّلَ حاكمٍ على نفسِك بذميمِ الأخلاق، ومساوئ الأعمالِ، وحقًّا أقولُ، ما الدُّنيا غرَّتكَ، ولكن بها اغترَرْتَ، ولقد كاشفَتْكَ العِظات، وآذَنَتْكَ على سواءٍ) (١).

ينادى الإنسان نداء الغافل المقصر فتستعمل (يا) الموضوعة لنداء البعيد ليتنبه من غفلته وسدوره فى غيه، وفى الآية توبيخ للإنسان حيث اغتر بكرم ربه وستره وعفوه ومغفرته فتجرأ على معصيته، وفى الكشاف " فإن قلت ما معنى "ما غرك بربك الكريم" وكيف طابق الوصف بالكرم إنكار الاغترار به وإنما يغتر بالكريم، كما يروى عن على رضى الله عنه أنه صاح بغلام له كرات فلم يلبه فنظر فإذا هو بالباب فقال له: مالك لم تجبنى؟ قال: لثقتى بحلمك وأمنى من عقوبتك، فاستحسن جوابه وأعتقه، وقالوا : من كرم الرجل سوء أدب غلمانه، ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. لما تلاها غره والله شيطانه الخبيث: أن زين له المعاصى وقال له افعل ما شئت فربك الكريم الذى تفضل عليك أولاً متفضل عليك آخراً حتى ورطه، وقيل للفضيل بن عياض: إن أقامك الله يوم القيامة وقال لك: ما غرك بربك الكريم؟ ماذا تقول؟ قال : أقول : غرنى ستورك المرخاة وهذا على سبيل الاعتراف بالخطأ فى الاغترار بالستر وليس باعتذار ... ويُروى أنه إنما قال بربك الكريم دون سائر صفاته ليلقن عبده الجواب حتى يقول غرنى كرم الكريم"(٢).

و(ما) فى قوله "ماغرك"استفهامية للتوبيخ والاستهجان ،وتعجبا من جرأته حتى عصى ربه "(٣).

---

(1) شرح نهج البلاغة ٢٣٨/١١.

(2) تفسير الكشاف الزمخشرى ٢٢٨/٤، ٢٢٧، جـ١، دار الفكر.

(3) البلاغة القيمة لآيات القرآن الكريم {جزء عم }.أ د/عبد القدر حسين .ص٤٦.

قال رضى الله عنه: (أدحض مسئول حجة، وأقطع مغتر معذرة لقد أبرح جهالة بنفسه) حجته باطلة ليست باطلة فحسب بل هى أشد الحجج بطلاناً، ومعذرته أوهى المعاذير بل أقطعها، لقد جهل على نفسه جهلاً شديداً و كلفها فوق طاقتها وأوردها موارد التهلكة.

ففى المقاييس "دحض: الدال والحاء والضاد أصل يدل على زوال وزلق . يقال دحضت رجله: زلقت، دحضت الشمس: زالت، ودحضت حجة فلان إذا لم تثبت"[1].

ويلاحظ أنه- كرم الله وجهه- قد حذف المسند إليه والتقدير (هو أدحض مسئول) بعود الضمير على الإنسان فى الآية الكريمة فقد هاجه وأغضبه وأثار حفيظته التجرؤ على المعصية فتحاشى النطق بضمير العاصى صونا للسان عنه وإبعادًا له عن حضرته.

وتأمل تعبيره بأفعل تفضيل من (دحض) هذا الذى يفيد أن هذه الحجة قد فاقت فى بطلانها كل الحجج الباطلة وبلغت فى ذلك أقصى المبالغ، ثم إنه نكر كلمة (مسئول) ازدراءً له وتهويناً من شأنه لينظر فى أمره ويصلح من حاله.

وأما قوله (وأقطع مغتر معذرة) فقد جسد فيه المعذرة إذ أثبت لها القطع: فمن المعلوم أنها أمر معنوى، والقطع " هو إبانة بعض أجزاء الجرم عن بعض فصلاً"[2]، وعليه فقد شبه المعذرة بشئ مادى محسوس ثم حذف المشبه به وأثبت لها شيئا من لوازمه وهو القطع على سبيل الاستعارة المكنية.

هذه الصورة حققت وأكدت أبلغ تحقيق وتأكيد فناء معذرته وأنها مهما بلغت لن تنجح ولا تنفع إزاء ذنبه، إذ تجعلنا الصورة نراها أمام أعيننا يعمل فيها القطع.

ثم يأتى قوله (لقد أبرح جهالة بنفسه) يشتم منه رائحة الإشفاق على هذه النفس الضعيفة التى أوقعها صاحبها فى جهالة مفرطة وحملها فوق وسعها، والخبر هنا مؤكد باللام و(قد)اعتناء بشأن الحكم.

وقد فصلت الجملة عما قبلها وكأن سائلاً سأل: لماذا تبطل حجته ولا تقبل معذرته، فجاءت كالجواب وهو ما يعرف بشبه كمال الاتصال.

ثم يلتفت من الغيبة إلى الخطاب ؛ليجعل المذنب تجاهه ،فيكون أحرى لتبكيته وارعوائه ورجوعه إلى صوابه فيقول (يا أيها الإنسان ما جرأك على ذنبك ،وما

---

(1) مقاييس اللغة لابن فارس ت/عبد السلام هارون ط دار الجيل -بيروت ٣٣٢/٢.

(2) لسان العرب ٢٢/١١.

غرك بربك، وما أنسك بهلكة نفسك !؟) أيها الغافل المقصر تنبه وارتدع، ما خدعك وحملك على المعصية والأمن من العقاب، أأمنت مكر الله!؟ "عجبا لك أيها الإنسان العاقل المفكر ما الذى غرك وخدعك ،وجرأك على عصيان ربك؟٠٠٠ لا تجعل كرمه حجة لعصيانك"[١] وكما ترى قد نزل القريب منزلة البعيد فنودى بـ (يا) تنبيهاً له لعظم الأمر المدعو إليه،ولأنه يحتاج مزيدا من التنبيه لفرط غفلته وتقصيره.

والاستفهام يخرج هنا عن معناه الحقيقى إلى معنى مجازى هو الإنكار التوبيخى فما كان ينبغى أن يكون للإنسان هذه الجرأة ولا ذاك الاغترار ولا ذلك الأنس بالهلكة كيف وربه أرحم به من نفسه جعل له من أرضه فراشاً ومن سمائه سقفاً محفوظاً وأغدق عليه نعمه ظاهرة وباطنة وأشفق عليه من الهلكة فقال" ولا تُلقوا بأيديكُمْ إلى التهلُكة"[٢] أإله كهذا يُتجرأ على معصيته؟

وفى قوله (وما أنسك بهلكة نفسك؟) جعل إتيان الذنب أنساً بالهلكة، وهذا على سبيل الاستعارة التهكمية، شبه وحشة الذنب بالأنس تنزيلاً للتناقض منزلة التناسب، ثم استعير المشبه به للمشبه فاشتق منه (أنس) بمعنى (أوحش) على سبيل التهكم.

ويلاحظ أنه كان مقتضى الظاهر يقول (بهلكتك) لكنه وضع المظهر موضع المضمر تمكيناً للمعنى فى ذهن السامع ليوعز إليه بالخوف على نفسه ويحثه على حفظها مما يؤدى بها إلى الهلكة فى المعاصى والذنوب.

(أما من دائك بلول؟ أم ليس من نومك يقظة؟) يهيب- رضى الله عنه- بالإنسان الغافل ليهب من غفلته ويستيقظ من نومه، فالغرض من الاستفهام الحث وإثارة الهمة واستنهاض العزيمة على الإقلاع عن الذنوب وعن الجرأة على من يستر عليه العيوب، وهنا يجعل إتيان الذنب داءً يريد له البرء منه والعافية، فقد شبهه بالداء ثم استعير المشبه به للمشبه، فحذف المشبه وصرح بالمشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية المرشحة بلفظ (بلول).

وترجع فائدة الصورة إلى تقرير ما يريده للمخاطب من الخير بالإقلاع عن الجرأة على الذنب فهو يريد له أن يصح ويقوى ويستجمع عافيته.

---

(١) التفسير الواضح .د/محمد محمود حجازى .ط١٠ دار التفسير١٩٩٢ جـ ٣ص٨٣٤ .
(٢) سورة البقرة الآية (١٩٥).

وإضافة (الداء) و (النوم) إلى ضمير المخاطب تدل على لصوقهما به ،وفيه إيعاز إليه بأن يسرع إلى إبعادهما وصرفهما عنه ليصح ويقوى ،ويكون على بصيرة من أمره ، وتراه يقدم المسند (من دائك) و(من نومك) على المسند إليه (بلول) و(يقظة) ليسارع بالتنبيه على سبب البلوى إيماءً إلى ضرورة التخلص منه.
وكما استعار للإتيان بالذنب الداء، استعار النوم للغفلة والذهول، بجامع عدم التنبه إلى المطلوب فى كل استعارة تصريحية أصلية، وهى صورة توحى بأن عليه أن يتوب ويستدرك ما فاته فالنائم إلى يقظة ،إذن لا تزال الفرصة سانحة، والله يتوب على من تاب إليه فعليه أن يبادر ولا يسوف.
ولنتأمل جمال الطباق بين (داء) و (بلول)، وبين (نوم) و(يقظة) وأصالته فى المعنى وتوضيحه له بالتضاد بين طرفيه، فالمعنى هو الذى استدعاه وساق نحوه، يقول الإمام عبد القاهر " وأما التطبيق والاستعارة فلا شبهة أن الحسن والقبح لا يعترض الكلام بهما إلا من جهة المعانى خاصة دون أن يكون للألفاظ تصعيد ولا تصويب"[١].

(أما ترحم من نفسك ما ترحم من غيرك! فلربما ترى الضاحى من حر الشمس فتظله، أو ترى المبتلى بألم يمض جسده فتبكى رحمة له!)
يواصل- رضى الله عنه- تبكيت الإنسان وتوبيخه على تفريطه فى حق نفسه عن طريق الاستفهام التوبيخى وتنبيهه على أنه قد تصدر منه رحمة لغيره فعليه أن يجعل منها نصيباً لنفسه، بل وهى الأولى فإن لها عليه حقا بأن يصونها من العذاب بترك ما يؤدى إليه.
وتراه يعبر بالفعل المضارع (ترحم) ليوحى بأنه ينبغى أن تتجدد منه الرحمة لنفسه شيئاً فشيئاً وحيناً بعد حين، فلا يتجاهلها ولا يجعلها طى النسيان.
وقوله (فلربما ترى الضاحى[٢] من حر الشمس فتظله) يقص عليه شيئاً من المواقف التى قد يرحم فيها غيره، وهو أن يرى شخصاً قد آذاه حر الشمس فيشفق عليه ويلجئه إلى الظل، أفلا يشفق على نفسه من حر جهنم!؟ وشتان ما بين الحرَّيْن.

---

(١) أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر الجرجانى تحقيق محمود شاكر مطبعة المدنى ص٢٠ بتصرف ط١، ١٩٩١م.
(٢) ضحى الرجل يضحى: إذا أصابه حر الشمس (لسان العرب ٣٠/٨).

وتراه قد عبر بشئ من خفيف من المعاناة؛ ليوحى إليه من طرف خفى بأن ما ينتظر من العذاب أعظم وأشد مما ترحم منه غيرك، فارفق بنفسك أولى.
وقد حسن المعنى وزينه بالطباق بين (الضاحى) و (تظله) إذ وضح المعنى بالتضاد وبين أثر نقله من حالة إلى أخرى مضادة يجد فيها راحته ويزول فيها سبب معاناته فعليك- إذن- نقل نفسك من حال الجرأة على المعصية إلى حال التوبة والطاعة لتجد الراحة والطمأنينة وسكينة النفس فى الدنيا وجمال المثوبة فى الآخرة.
ثم ينتقل- رضى الله عنه- إلى موقف أعمق إيلاماً وأجلب للرحمة فيقول: (أوترى المبتلى بألم يمض[1] جسده فتبكى رحمة له) وتألما لألمه وتعاطفاً معه لما يكابد من شدة ومشقة، وقد استعان- رضى الله عنه- بالناحية الصوتية لأداء المعنى حين وظف التضعيف فى الفعل (يمضّ) ليدل على المبالغة فى المشقة.
وبرهن على المعنى واستدل للفكرة عن طريق المذهب الكلامى، فإذا كنت ترحم الضاحى من حر الشمس والمبتلى بداء يؤلم جسده فتعمل على إيجاد سبيل لهما إلى نجدة، فلأن ترحم نفسك وتنقذها مما عساه أن يحل بها أولى.
(فتداوَ من داء الفترة فى قلبك بعزيمة، ومن كرى الغفلة فى ناظرك بيقظة)
يتوجه الإمام على- رضى الله عنه- بالنصح إلى الإنسان المفرط فى جنب الله ليقدم له الدواء النافع الناجح الذى يجتث الداء من جذوره، وهو أن يخلع عنه ثوب الغفلة ويلبس ثياب اليقظة والعزيمة على الجد فى طاعة الله- تعالى.
فعل الأمر (تداوَ) يخرج عن معناه الحقيقى إلى معنى مجازى هو النصح والإرشاد وهو يوحى بحرص المتكلم على ما فيه نفع المنصوح ويظهر رغبته فى جلب الخير له.
وقد جعل- رضى الله عنه- السكون عن الطاعة داء على التشبيه من إضافة المشبه به (داء) إلى المشبه (الفترة) ، ووجه الشبه: الإعاقة، ليشعر المخاطب بخطر الموقف فيسارع بالاستشفاء من الداء وينبذ عنه أعراضه.
ثم يفصح عن الدواء بقوله (بعزيمة) أى فلتشد العزم أيها المبتلى ،ولتشمر عن سواعد الجد فى الطاعة، فيلاحظ أنه استخدم فنية التنكير قصد للتفخيم إذ لا تكفى

---

(1) الميم والضاد أصل صحيح يدل على ضغط الشئ منه مضنى الشئ وأمضنى: بلغ منى المشقة كأنه قد ضغطك. (مقاييس اللغة ٢٧٢/٥، ٢٧٣).

مجرد عزيمة وإنما يريد عزيمة صارمة، عزيمة قاطعة تستأصل منه داء الكسل والفتور وتجدد مضيه قدماً فى سبيل الاجتهاد فى الطاعة.

وتداو(من كرى الغفلة فى ناظرك بيقظة) عليك أن تحدث صحوة تجبُّ ما قبلها من غفلات، فإذا كان طرفك مغمضاً فى الماضى فعليك أن توقظه لتستنهض همة قلبك لتتنبه حواسك كلها ظاهرة وباطنة وتتداعى إلى العمل الصالح، وهنا يوظف – رضى الله عنه – الطباق لخدمة المعنى وتوضيحه فبين (الكرى) و(يقظة) طباق وكما قيل: الضد يظهر حسنه الضد، فعليك أيها المفرط أن ترفع عنك النوم والغفلة وتحل محلها اليقظة، كما نكر لفظ (يقظة) للتفخيم أيضاً، فهو يريد يقظة هائلة ونشاطا دائما لا يعقبهما أدنى تباطؤ.
(وكن لله مطيعا، وبذكره آنسا) يضم جملة (كن...) إلى جملة (تداو...) فيصل بينهما بالواو، للتوسط بين الكمالين ، فقد اتفقتا فى الإنشائية لفظاً ومعنى، وحسن الوصل كونهما فعليتين فعلاهما أمر.
ويقدم الجار والمجرور (لله) (وبذكره) على متعلقيهما (مطيعا) و(آنسا) ليفيد القصر فالمعنى: لا تطع إلا الله، ولا تأنس إلا بذكره، والقصر حقيقى تحقيقى.

(وتمثل فى حال توليك عنه إقباله عليك، يدعوك إلى عفوه، ويتغمدك بفضله، وأنت متولّ عنه إلى غيره)
أيليق أن يقبل المولى على عبده بعفوه وفضله وهو متولٍّ عنه!؟ إن الإنسان لظلوم كفار.
عليك أن تتصور وتتخيل وأنت فى غفلة وتولٍّ عن الخالق المنعم إقباله عليك يسدى إليك فضله وعفوه؛ لتخجل من نفسك وترتدع عن سفهك فتقبل عليه بالطاعة، فليس من الأدب أن تولى عمن أقبل عليك، فما بالك إن لم يكن إقبالاً فحسب بل إقبال فى إحسان وإنعام! فهل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟
وهنا يطابق – أيضاً- بين (التولى) و(الإقبال) طباقاً يتضح به المعنى وترتسم به الصورة فى مخيلة المتلقى ليقارن بين الحالين فيهتدى إلى الصواب.
ولنتأمل جمال التتميم بقوله (فى حال توليك عنه) ومجئ الجار والمجرور مقدماً على المفعول(إقباله) ليفيد ضرورة التنبه إلى تخيل الإقبال من الخالق المنعم حال التولى من المخلوق المنعَم عليه وأنه الأولى بالقصد لتؤتى العظة ثمارها.

إنه ليس مجرد إقبال فحسب، هذا ما تفصح عنه الجملة الحالية (يدعوك إلى عفوه...) إنه يقبل حال دعوة إلى العفو والصفح عن الذنب، هذه الدعوة مقترنة بالإقبال ملازمة له فى آن واحد ،وقد امتنعت الجملة الحالية عن الواو لأنه أريد ضم الفعل الواقع فى صدرها إلى الإقبال،ولأن "المضارع يدل بالوضع على زمان الحال ،فنستغنى عن الواو الزمانية"[١].

ويتوخى - رضى الله عنه- الإطناب لتقرير وتوضيح حال العبد المفرط فى حق نفسه يتوخاه بقوله (وأنت متول عنه إلى غيره) فيأتى بجملة حالية اسمية مقترنة بواو الحال ليفيد دوام العبد وثبوته على التولى على الرغم مما يسدى إليه من النعم، وكان الإنسان جهولا.
ولم يقتصر على قوله (عنه) حتى علق بالتولى قوله (إلى غيره) ليعطى تتميما يفيد المبالغة فى وصف العبد بالإجحاف فى توليه عن المقبل بالنعم المستحق للعبادة إلى غيره مما لا يملك من أمر نفسه شيئا،أى أنه لم يتولَّ عنه فحسب بل وأقبل على غيره فترك الإنصاف وأبى إلا الإجحاف ،وحاد عن الجادة،فعندما يتبين هذا من أمره من العظة المقدمة له من الإمام على ،يكون أدعى إلى الإقلاع عن الذنب،والإقبال على الرب قابل التوب .
(فتعالى من قوى ما أكرمه! وتواضعت من ضعيف ما أجرأك على معصيته! وأنت فى كنف ستره مقيم)
جملتان خبريتان قصد من الأولى تنزيه المولى وبيان علو شأنه وبيان قوته وإحكام قبضته ومع ذلك يعفو ويصفح وفى الثانية المقابل ضعة العبد وضعفه، وأنه على الرغم من ذلك يتجرأ على المعصية.
وقد وظف التقابل بين الجملتين توظيفاً سديداً لخدمة المعنى، فقد قابل معانى العلو والقوة والكرم وهى معان متوافقة بالتواضع والضعف والجرأة على المعصية المنبئة عن البخل بالطاعة .
ولنتأمل صياغة الجملة الأولى، وكيف أتى بحرف جر زائد ليفيد التأكيد، جاراً لنكرة مفيدة للتفخيم (من قوى) فهو سبحانه عظيم القوة شديد البطش قادر على الفتك لو يشاء لانتصر لنفسه من العاصى لكنه يستر عليه ويوسعه إنعاماً

---

(١) الإشارات والتنبيهات ص١١٩.

وإفضالا، لذا يتعجب من كرمه الفائق بقوله (ما أكرمه) إذ تنفعل نفسه- رضى الله عنه- بعظيم فضله- سبحانه- إذ لا يدانيه كرم ولا يبلغه أقصى الجود.
وفى الجملة الثانية يأتى بحرف جر زائد- للتأكيد أيضاً- ولكن المجرور هنا نكرة مفيدة للتحقير (من ضعيف) فأنت أيها العبد ضعيف حقير لا تمتلك مقومات الجرأة، وعلى الرغم من ذلك تأتيها وتنسى ضعفك وهوانك مغتراً بكرم ربك، قد بلغت مبلغاً بعيداً من الجرأة (ما أجرأك) جرأة تثير العجب والدهشة، ويلاحظ أن الجملة تحمل معنى التوبيخ فى صيغة الخطاب ليكون المذنب فى المواجهة فيخجل ويخزى ويرتدع عن فعله.
ثم تأتى الجملة الحالية (وأنت فى كنف ستره مقيم) لتفصل بعض أحوال كرمه- سبحانه- ففى الكلام إطناب طريقه التفصيل بعد الإجمال غرضه استمالة المذنب ليكف عن التمادى فى مدارج المعصية حين يتذكر نعم المولى- سبحانه- عليه، وأنها جديرة أن تقابل بالشكر والطاعة لا الجحود والعصيان.

وإذا نظرنا إلى صياغة الجملة نجد أنها جملة اسمية تفيد دوام إقامة العبد فى ستر ربه، وأنه قد قدم فيها الجار والمجرور (فى كنف) على متعلقه (مقيم) لأنه الأهم لتعلق الغرض به، فهو سبحانه. يسدل ستره على عبده، يستر عليه ذنوبه، ويخفى عن الناس عيوبه، ويستر عيشه، ويكفيه أمر رزقه وإن عصى وتجبر.
وفى الجملة صورة بيانية هى غاية فى الروعة إذ يقول (فى كنف[1] ستره) فقد شبه الستر بحضن يحتوى العبد ويحوطه إذ أضاف المشبه به (كنف) إلى المشبه (ستره) فهو من التشبيه المؤكد المجمل.
هذه الصورة أوحت بعظم رعاية المولى –عز وجل- لعبده، وأنه يكلؤه برعايته، ويحوطه بحرزه وحفظه، والعبد لا يستحيى أن يعصيه، كما أنها جسدت الستر وأخرجته من دائرة المعقول إلى المحسوس تأكيداً وتحقيقاً لمعانى الشمول والسبوغ والإحاطة.
(وفى سعة فضله متقلب، فلم يمنعك فضله، ولم يهتك عنك ستره)
ترتع فى فضله وتتصرف كيف تشاء، فلم يمنعك إياه وإن كنت على المعصية، وكما ترى قدم الجار والمجرور (وفى سعة) على متعلقه (متقلب) مبادرة إلى المقصود، وإفادة للتخصيص فهو قصر طريقه التقديم، قصر موصوف (التقلب)

---

(١) كنف الرجل: حضنه يعنى العضدين والصدر (لسان العرب ١٢/ ٦٩مادة كنف)

على صفة هى (كونه فى سعة فى فضل الله تعالى) قصر حقيقى تحقيقى، فلا فضل سوى فضله- سبحانه- ذا الطول والإنعام.
وقد وضع المظهر موضع المضمر إذ قال (فلم يمنعك فضله) ولم يقل فلم يمنعك إياه للتسجيل على السامع وإظهارًا لكمال العناية به بتمييزه فى ذهنه أكمل تمييز ليجعله دائماً على ذكر منه فلا يقدم على معصية.

(ولم يهتك[1] عنك ستره) فى الجملة تقسيم[2] حيث ذكر الستر والفضل ثم رد إلى الثانى قوله (فلم يمنعك فضله) وإلى الأول قوله (ولم يهتك عنك ستره) وفى الجملة إطناب غرضه التأكيد، إذ كان بإمكانه أن يقول (ولم يفضحك) لكنه عدل إلى فعل (الهتك) المعدى بحرف الجر (عن) المفيد المجاوزة ليفيد أنه يظل يواريه خلف ستره ولا يشقه عنه فيجاوزه الستر ليبرز للعيان ما يكره اطلاع الناس عليه، ويلاحظ أنه قدم الجار والمجرور (عنك) على المفعول (ستره) مبادرة إلى المطلوب ومسارعة إلى الغرض، فالشخص المخاطب هو الغرض المنوط به السياق.
(بل لم تخلُ من لطفه مطرف عين، فى نعمة يحدثها لك أو سيئة يسترها عليك) يكنى عن متابعة المولى عبده بلطفه وإيلائه عنايته فى كل وقت بقوله (بل لم تخل من لطفه مطرف عين) فهيهات أن يغفل المولى عن عبده، إذ لا يخلو حال من الأحوال ولا مقدار طرف العين من أن يحدث له نعمة، أو يستر عليه سيئة، أو يصرف عنه بلية.
هذا، وقد استخدم- رضى الله عنه- فنية التنكير فى (عين، نعمة، سيئة) ليصيب عين المراد فتنكير (عين) للقصد إلى فرد شائع فى جنسه فهو لم يقصد عيناً لمعين، وإنما أراد أى عين، وفى نعمة قصد التعظيم فأى نعمة منه- سبحانه- حقيقة وجديرة بالإجلال والإكبار وفى (سيئة) أفاد العموم فالحليم –سبحانه- يستر على المسئ عظمت سيئته أو ضؤلت، وفى هذا بيان لعظم لطفه وفضل رحمته، وجميل إحسانه.

---

(1) الهتك شق الستر عما وراءه (مقاييس اللغة ٣٢/٦).
(2) ذكر متعدد ثم إضافة ما لكل إليه على التعيين .(الإيضاح مع البغية جـ٤ص ٣٣).

ولنتأمل جمال التعبير بالمضارع فى وصفه النعمة بقوله (يحدثها لك) ووصف السيئة بقوله (يسترها عليك) إذ يفيد تجدد التفضل بالنعمة، وتجدد وحدوث الستر للسيئة تجدداً استمرارياً ليخجل العبد من نفسه ويرتدع عن سدوره فى غيه بتذكر ذى الفضل والإحسان.
كما أنه عبر بلام الملك فى جانب النعمة، ليفيد تمليكه العبد إياها بعد أن يحدثها بجعله متمكناً منها منتفعاً بها، إذ يحدثها من أجله " وسَخَّرَ لكُم ما فى السَّمَواتِ وما فى الأرْض جميعاً مِنْهُ"(١).
(أو بلية يصرفها عنك، فما ظنك به لو أطعته!؟) من جملة لطفه بك وإنعامه عليك صرفه البلايا عنك وجعلك فى عافية منها، وتنكير (بلية) لإفادة العموم ،لتشمل كل أنواع البلايا سواء كانت فى نفس أو مال أو ولد أو نحوها ، يتفضل - جلت نعماؤه - بصرفها عن العبد، وقد استعمل حرف الجر (عن) المفيد للمجاوزة ليفيد أنه يصرف البلية حتى تجاوزه تماما مُخلّصا منها جملة.

ثم يأتى الاستفهام (فما ظنك به لو أطعته ؟) حاملاً معنى التعجب والتوبيخ إذا كان حال المولى معك وإنعامه وإفضاله عليك هكذا وأنت على المعصية فما بالك لو أنت على الطاعة!؟ أما تستحيى وترعوى وترجع إلى صوابك؟
كما أن الجملة تحمل على التوبة والطاعة فى لطف وحكمة، إذ تطمع العبد فى مزيد مما عند الله، وهذا من أنجح السبل فى الدعوة إلى الله- عز وجل.
(وايم الله لو أن هذه الصفة كانت فى متفقين فى القوة، متوازيين فى القدرة لكنت أول حاكم على نفسك بذميم الأخلاق، ومساوئ الأعمال)
يبدأ - رضى الله عنه- الجملة بالقسم تأكيداً لمضمون الجملة، وهو أن صفة مقابلة الإحسان بالإساءة لو كانت فى أحد طرفين متفقين فى القوة ولهما نفس القدرة لسبقت إلى الحكم على المسئ بالأخلاق الذميمة والفعال الدنيئة، فما بالك والله القوى وأنت الضعيف، والله الغنى وأنت الفقير، والله مالك الملك وأنت ترتع فى ملكه، وهو بهذا يستدل على الفكرة بالمذهب الكلامى ، فبم أن هذه الصفة تصدر من ضعيف تجاه قوى، فأنت أولى بهذا الحكم.
وقد عبر باسم الإشارة فى قوله (لو أن هذه الصفة) لتمييز المشار إليه فى ذهن السامع أكمل تمييز ليتضح ما يبنى عليه من حكم.

---

(١) سورة الجاثية من الآية (١٣).

وجملة (لكنت أول حاكم على نفسك٠٠٠) تومئ إلى ثقة المتكلم فى رجحان عقل المخاطب ،وتوحى إليه بأن من كان كذلك جدير بأن يرفع عن نفسه الظلم وأن يجنبها الهلكة بالإقلاع عن المعصية ،ولزوم طريق الاستقامة .
(وحقا أقول، ما الدنيا غرتك، ولكن بها اغتررت، ولقد كاشفتك العظات، وآذنتك على سواء).
يقدم المفعول (حقا) على متعلقه (أقول) ليفيد القصر الذى يمنح الجملة إيجازاً وتأكيداً، ثم فسر هذا القول الحق بقوله (ما الدنيا غرتك...) ففى الكلام إطناب.
فهو يقول – رضى الله عنه- فى مقام الناصح الأمين ليست الدنيا فاعل الغرور على الحقيقة، فليست هى التى خدعتك وأطمعتك بالباطل وإنما أنت من قبلت الغرور فلا تلومن إلا نفسك (ولكن بها اغتررت) وهنا يقدم الجار والمجرور بها على متعلقه (اغتررت) للمبادرة إلى المقصود وهو أن الدنيا ليست إلا سبباً بينما بيدك القدرة وفى عقلك الإرادة ولديك التمييز فلا تغرنك الحياة الدنيا ولا يغرنك بالله الغرور.
وقد أعذرتك الدنيا إذ أطلعتك على العظات فكان عليك أن تعتبر وأعلمتك فكان عليك أن تتعلم (ولقد كاشفتك العظات وآذنتك على سواء) والجملة مؤكدة باللام و (قد) والفعل الماضى الدال على التحقق قصداً إلى المبالغة فى تحقيق الخبر، فما اطلعت عليه من عظات فى الدنيا كفيل بأن يجعلك تتبين أمرها، ولا تغتر ببهرجها الزائف، وأن تعمل على ما يصلح لك آخرتك فلا تقدم على معصيته ولا ترتكب إثمًا، وأن تجعلها طاعة وسبيلاً موصلاً إلى نعيم الإخرة.
وفعل المفاعلة (كاشف) يدل على المشاركة بين الطرفين إذ أن الدنيا لم تكشف العظات فحسب بل أشركته فى كشفها حتى يكون على بينة من أمره فلا عذر له.
أما "آذن فنقل من أذن إذا علم ولكنه كثر استعماله فى الجرى مجرى الإنذار ومنه قول ابن حلزة: آذنتنا ببينها أسماء
فالدنيا مع العبد كرجل بينه وبين أعدائه هدنة فأحس منهم بغدرة فنبذ إليهم العهد وشهر النبذ وأشاعه وآذنهم جميعاً. "[1].
ففى الجملة استعارة تمثيلية شخصت الدنيا ووسمتها بسمة قادر على الإعلام والإنذار ليعتبر الإنسان ويرى فى صروفها ما يجعله يرعوى عن المعصية ويمتثل الطاعة.

---

(١) الكشاف ٥٨٦/٢.

خاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه ٠

أما بعد

فبعد جولة سريعة فى خطب الإمام على –كرم الله وجهه- فى تمجيد الله – تعالى- وتنزيهه، حاولت فيها أن أصل إلى ما احتوت من معان ، وما اختفى بين سطورها من إيحاءات وظلال ، وما دل عليها من روعة التصوير ، بعدها – بعون الله وتوفيقه – وصلت إلى خاتمة البحث لأسجل نتائجه ، فقد تبين لي :-

- تمتعه-رضى الله عنه- بذوق رفيع ، وموهبة صادقة ، وحس مرهف ، وعاطفة جياشة،وغيرة دينية منقطعة النظير ٠
- دقته فى انتقاء ألفاظه من المعجم اللغوي،وقدرته اللغوية الفائقة على التفنن فى صياغتها وتصريفها وفقا للغرض ٠
- تعاون ألفاظه ومعانيه ، وما يستوحى منها آخذا بعضها بإصر بعض على أن تصب فى معين واحد،وتؤدى معنى واحدا ٠
- من سمات خطبه سهولة الألفاظ ، وقصر الجمل ، وتساوى المقاطع .
- كثرة استخدامه التشبيه البليغ الذي أضيف فيه المشبه به إلى المشبه تقوية لدعوى اتحاد الطرفين،مثل قوله (مقل العقول) و(داء الفترة)و(كنف ستره) ٠
- أنه قد أكثر من استعمال السجع إلا أنه على كثرته لا تكلف فيه، وإنما العفوية والسلاسة طابعه المتميز ٠
- كثرة الإضافات مثل (إقرار قلب ذى الجحود)و(خطرات هماهم النفوس)و(عرفان كنه صفته) ٠
- شيوع الطباق فى خطبه ،حيث الجمع بين الأضداد للدلالة على كمال القدرة الإلهية وطلاقتها ٠
- أنه قد وفق فى توظيف فنون البلاغة بمختلف وسائلها وأساليبها في خدمة معانيه توظيفا سديدا ، فوضع كلا في موضعه ٠

هذا ، وقد حاولت أن أقارب الهدف المنشود ، فإني لا أدعى الكمال فذلك مما لا قبل لبشر به ، لكنى أرجو أن أكون قد وفقت في وضع بعض المشاعل على جوانب خطبه- رضى الله عنه – فى الغرض النبيل ،عسى أن يأتى بعدى من يوفيها حقها من الدرس والتحليل، داعية المولى العلي القدير أن يجنبنا الزلل ، وأن يهدينا سبل الرشاد ٠

المصادر والمراجع

١- الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى. ط دار الكتب العلمية- بيروت .

٢- أسد الغابة فى معرفة الصحابة. لابن الأثير .تخريج/ أحمد بن شعبان بن أحمد . ط١ مكتبة الصفا ٢٠٠٧ م٠

٣- أسرار البلاغة .عبد القاهر الجرجاني.تحقيق/محمود شاكر . ط١ المدني ١٩٩١م.

٤- أسلوب الكناية في أسمائه الحسنى.د/هاشم الديب. ط الإسلامية الحديثة ١٩٩٤م.

٥- الإشارات والتنبيهات للجرجانى .تحقيق أ د/عبد القادر حسين. ط مكتبة الآداب ١٩٩٧م

٦-الإصابة فى تمييز الصحابة .لابن حجر العسقلانى.تحقيق/الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، الشيخ على محمد عوض ط ٣ دار الكتب العلمية ٢٠٠٥م٠

٧- الإيضاح للقزوينى .شرح د/محمد عبد المنعم خفاجى. ط٣ دار الجيل بيروت ١٩٩٣ ٠

٨- البديع فى ضوء أساليب القرآن .أ د/عبد الفتاح لاشين .ط دار الفكر العربى١٩٩٩

٩- بغية الإيضاح.للشيخ عبد المتعال الصعيدى. نشر مكتبة الآداب ١٩٩٩م٠

١٠- البلاغة القيمة لآيات القرآن الكريم {جزء عم }.أ د/عبد القدر حسين ٠

١١- تسهيل نهاية الإيجاز فى دراية الإعجاز للرازى ، تفسير وتيسير أ.د/ عبد القادر حسين،ط بيروت ٠

١٢- التفسير الواضح .د/محمد محمود حجازى .ط١٠ دار التفسير١٩٩٢م٠
١٣- تهذيب الآثار لابن جرير الطبرى تحقيق/ محمود شاكر.ط الخانجى ٠
١٤- حاشية الدسوقى ضمن شروح التلخيص .ط دار الكتب العلمية – بيروت .
١٥- حاشية السيد الشريف على الكشاف،ط دار الفكر.
١٦- دلائل الإعجاز.عبد القاهر الجرجاني . تحقيق/ محمود شاكر . ط٣ المدني١٩٩٢ م.
١٧- شرح نهج البلاغة . لابن أبي الحديد ، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط١ الحلبي ١٩٥٩م٠
١٨- شروح التلخيص. ط دار الكتب العلمية- بيروت.
١٩- صحيح البخاري بحاشية السندي. ط الحلبي .
٢٠- العمدة لابن رشيق القيروانى .ط٣ السعادة .
٢١- الكشاف للزمخشري . ط دار الفكر .
٢٢- لباب البديع.أ د/ محمد حسن شرشر.ط١ الطباعة المحمدية ١٩٩٨م ٠
٢٣- لسان العرب . لابن منظور ، ت- أمين محمد عبد الوهاب ، محمد الصادق العبيدي . ط٣ إحياء التراث العربي - بيروت ١٩٩٩م .
٢٤- المثل السائر لابن الأثير. تحقيق / كامل عويضة .ط١ دار الكتب العلمية – بيروت ١٩٩٨٠
٢٥- مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب .لابن هشام .تحقيق / ح الفاخورى.ط ٢دار الجيل ١٩٩٧م ٠

٢٦- مقاييس اللغة. لابن فارس ، تحقيق/ عبد السلام هارون . ط- دار الجيل- بيروت ٠

٢٧- من بلاغة النظم العربى .أ د/ عبدالعزيز عبد المعطى عرفة .ط٢ عالم الكتب ١٩٨٤م

٢٨- النكت فى إعجاز القرآن . للرمانى.ضمن ثلاث رسائل،ط دار المعارف ٠

٢٩- نمط صعب ونمط مخيف . محمود محمد شاكر . ط١ المدني ١٩٩٦م٠